منظومةُ الرَّشَفاتُ

المسماة

«رَشَفاتُ شُرْبِ أهلِ الكَمالِ
ونسَماتُ قُرْبِ أهْلِ الوِصَالِ»

نظم الإمام العلامة

وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه

نفعنا الله بعلومه

الديباجَةُ

إِخْوَانَنَـا بِـالمسْـجِدِ الحَرَامِ مِنَّـا إِلَيْكُـمْ أَكْمـلُ السَّـلامِ
وَحَـمْـدُ رَبٍّ عَـمَّ بِالْإِنْعَـامِ وَمَـنَّ بِالتَّفْضِيـلِ وَالإِفْضَـالِ

***

وَحَـقُّ وِدٍّ ثَـابِـتٍ قَـوِيـمِ بِوِفْـقِ عَهْـدٍ بالصَفَـاء قَـدِيـمِ
قَـدْ تَـمَّ بَـيْنَ الرُّكْـنِ وَالْحَطِيـمِ عـلَى الوفَـا في الْحَـالِ وَالْـمَـآلِ

***

فَلَـمْ نَـزَلْ عَنْكُـمْ بِـهِ نُسَـائِلْ نَـشْرَ الصَّبَـا ونَسْـمَةَ الشَّمَائِلْ
وَمَـا أَتَتْنَـا مِنْكُـمُ الرَّسَـائِلْ إِلَّا وأَحْيَـتْ سِرَّ بَـالٍ بَـالِ

***

وَذَكَّـرَتْ جَمْعـاً خَـلا في جَمْـعِ وَحَالَ قُرْبٍ مِـنْ عُرَيْبِ الْجَزْعِ
وَحُلْـوَ عَيْـشٍ بَيْنَهُـمْ في سَـلْعِ بِهِـمْ صَفَـا في صَفْـوَةِ اللَّيَـالي

***

وَهَـاجَ شَـوْقٌ في الفُـؤادِ نَـامِ لِـجِيْرَةِ الرُّكْـنَـيْنِ وَالمَقَـامِ
وَفِتْيَـةِ الْبَطْحَـاءِ وَالْخِيَـامِ أُهَيلِ سَـفْحِ الْمُنْحَنَـى وَالضَّالِ

***

أَكْرِمْ بِهِمْ فِي أَكْرَمِ الأَوْصَافِ وَأَلْطَفِ الأَخْلَاقِ وَالأَكْنَافِ
قَدْ شَرَّفُوا مَنَاقِبَ الأَشْرَافِ وَقَدْ حَلَوْا فِي أَكْمَلِ الأَحْوَالِ

***

هُمْ نَزَلُوا سِرَّ سُوَيْدَا قَلْبِي وَغَرَسُوا حُبَّ الهَوَى فِي لُبِّي
فَمَلَكُوا خَالِصَهُ مِنْ حُبِّي وَأَنْعَمُوا بِأَعْظَمِ الآمَالِ

***

فَمَا أُحَيْلَى مَا مَضَى مِنْ عُمْرِي وَمَا انْقَضَى فِي حُبِّهِمْ مِنْ دَهْرِي
فِي قُرْبِهِم مَا فِيهِ أَمْرٍ مُرِّ بَلْ كُلُّ حَالٍ بِالحُبُورِ حَالِي

***

وَحَبَّذَا وَصْفٌ صَفَا فِي فَصْلِ فِي رَشَفَاتِ شُرْبِهِمْ فِي الْفَضْلِ
وَنَسَمَاتِ قُرْبِهِمْ وَالوَصْلِ عَنْهُمْ بِمَا أَرْوِيهِ مِنْ أَقْوَالِ

***

فَلْيَسْتَمِعْ مَنْ كَانَ ذَا أَشْوَاقِ إِلَى صِفَاتِ الْقَوْمِ وَالأَخْلَاقِ
وَلْيَتَّبِعْ فَالحَقُّ سَاقٍ بَاقِ قَدْ عَمَّ كُلَّ الخَلْقِ بِالنَّوَالِ

* * *

رَشْفَةٌ فِي ذِكْرِ شَرَابِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ أَطْيَابِهِمْ

يَالَيْلَـةً مِنْهُـمْ عَـلَى الْكَئِيـبِ طَابَـتْ بِـلا وَاشٍ وَلا رَقِيْـبِ
نَالُـوا المُنَى فِي حَـضْرَةِ الحَبِيبِ مِنْ نَظْـرَةِ التَّقْرِيـبِ وَالإِيصَالِ

***

وَدِيْـرَ مِـنْ خَمْرِ الهـدَى كُؤوسُ تُشـفَى بِهَا مِنَ الـرَّدَى النُّفُوسُ
وَينْجَـلِي عَنْهَا الصَّدَى وَالبُوسُ مِزاجُهَـا مِـنْ سَلْسَبِيلٍ حَـالِ

***

شِـفاً لِكُـلِّ عِلَّـةٍ وَإِثْـمِ مِـنْ كَـرَمِ الكَرِيْـمِ لا مِـنْ كَرْمِ
بَلْ مِـنْ هُـدًى وَحِكْمَـةٍ وَعِلْمِ تُزِيـلُ كُلَّ الشَّـكِّ وَالإِشْكَالِ

***

بِهَـا حَيَـاةُ الـرُّوحِ والجَنَـانِ بِهَـا تُـذاقُ صَفـوةُ الإِيْـمَانِ
فَيُعـرَفُ المنْقُـولُ كَالعِيَـانِ وَيُشْـهَدُ التَّفْصِيـلُ فِي الإِجْمَـالِ

***

تَفْتَـحُ عَـيْنَ القلْـبِ بِالْيَقِـينِ وَتَـشْرَحُ الصَّدْرَ بِمَعْنَـى الدِّيْنِ
فَيَسْـتَقِرُّ العَبْـدُ فِي التَّمْكِـيْنِ وَلا يَـزَالُ الجِـدُّ فِي إِقْبَـالِ

***

يَخْلُصُ مِنْهَا الجَوْهَرُ الإِنْسَانِي مِنْ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ وَالأَكْوَانِ
وَشَرِّ كَيْدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَظُلْمَةِ الأَوْهَامِ وَالخَيَالِ

***

يَخْرُجُ مِنْ كُلِّ عَنَا وبُوْنِ وَغَيْمِ كُلِّ حَادِثٍ وَدُونِ
إلى عُلُومِ عَالِمٍ مَصُونِ عَنْ خُلْفِ تَحْقِيقٍ أوِ اخْتِلالِ

***

يَذُوقُ فيْهَا لَذَّةَ الْفُتُوَّةْ مِنْ ثُمْرِ غَرْسِ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةْ
يَصِيرُ مِرْآةَ هُدًى مَجْلُوَّةْ بِهَا يَرَى مَا جَلَّ عَنْ مَقَالِ

***

فَبِامْتِزَاجِ سِرِّهَا في القَلْبِ وَرَقْمِ مَعْنَاهَا بِعَيْنِ اللُّبِّ
يَكْرَعُ مِنْ شُرْبِ حُمَيَّا الْقُرْبِ وَيَرْتَوِي مِنْ مَنْهَلِ الكَمَالِ

***

إِنْ ظَهَرَتْ بِحَقِّهَا آيَاتُهْ انْصَبَغَتْ بِمُقْتَضَاهَا ذَاتُهْ
وَاتَّصَفَتْ بِوِفْقِهَا صِفَاتُهْ في القَصْدِ والأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

***

فَالعَبْدُ بِالقَلْبِ مَدَارُ أَمْرِهْ فَحَيْثُ صَارَ سِرُّهَا في سِرِّهْ
سَارَ الهُدَى في حُلْوِهِ وَمُرِّهِ في الذَّاتِ والأَوْصَافِ والأَفْعَالِ

***

وَالقَلْبُ إِنْ لَمْ يَصْفُ بِالتَّهْذِيبِ وَيَرْتَوِي مِن مَائِهَا العُذَيْبِ

خِيفَ عليهِ القَلْبُ في التَّقْلِيبِ في قبضٍ أوْ بَسْطٍ إلى إضْلالِ

* * *

وَمنْ يكُنْ بِكُلِّ عِلْمٍ عَالِمْ وَلَمْ يَذُقْهَا فَهْوَ سَاهٍ نَائِمْ
فَخَفْ عَلَيْهِ مَا يَخَافُ الهَائِمْ عِنْدَ كِفَاحِ المَوْتِ والأَهْوَالِ

* * *

وَنَيْلُها مِنْ مَنْحِ فَيْضٍ وَهْبِي أَو فَتْحِ فَضْلٍ بَعْد جِدٍّ كَسْبِيْ
لا مِنْ رِوايَاتِ الْوَرَى وَالكُتْبِ وَلا بِقِيلِ عِلْمِهَا أوْ قَالِ

* * *

طُوْبَى لِمَنْ طَابَ لَهَا اسْتِعْدَادُهْ وَانْحَلَّ مِنْ رِقِّ السِّوى فُؤَادُهْ[1]
فَحَلَّ في عَيْنِ الحِجَا رَشَادُهْ فَذَاقَ مِنْهَا بَلَّةً بِبَالِ

* * *

فَبَلَّةٌ مِنْ كَأْسِهَا المَخْتُوْمِ تَمْلأُ رِيَاضَ القَلْبِ بِالْعُلُومِ
وَتَحْفَظُ الْفَهْمَ عَنِ الْوُهُوْمِ وَتُطْلِقُ العَقْلَ عَنِ العِقَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ حَالِي أَحْوَالِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ وِصَالِهِمْ

أَكْرِمْ بِأَقْوَامٍ لَهَا اسْتَجَابُوا وَطَابَ مَعْنَاهَا لَهُمْ إِذْ طَابُوا
ذَاقُوا حُمَيَّا كَأْسِهَا فَغَابُوا عَنِ الْوَرَى فِيْ حَضْرَةِ الْوِصَالِ

***

خَلَّوا لَهَا كُلَّ هَوىً وَخَلَّهْ وَأَخْلَصُوا كَلَّ وَلَا وخِلَّهْ
وَاتَّخَذُوا وَجْهَ الْحَبِيبِ قِبلَهْ وَأقْبلُوا بِأَصْدَقِ الإِقْبَالِ

***

فَرُّوا عَلَى تجْرِيدِ مَعْنى الصِّدْقِ وَأَفْرَدُوا القَصْدَ لِوَجْهِ الحَقِّ
فَوَصَلُوا عِنْدَ انقِطَاعِ الخَلْقِ وَاتَّصَلُوا بِأَفْضَلِ الإِفْضَالِ

***

وَسَافرُوا بِأَقْوَمِ اسْتِقَامهْ طَوَوْا مَقَامَاتٍ بِلا إِقَامَهْ
إلى بِقَاعِ الْفَيْضِ والْكَرَامَهْ وَمُسْتَوى التَّنْزِيْلِ والإِنْزَالِ

***

وَنَزَّهُواْ عَمَّا سِوَى المَحْبُوبِ نَوَاظِرَ الأَلْبَابِ وَالْقُلُوْبِ
فَامْتَلأتْ مِنْ بَاهِرِ الغُيُوْبِ وَأَشْرَقَتْ مِنْ بَهْجَةِ الجَمَالِ

***

صَفَوا عَـنِ الأَكْدَارِ فِي الأَذْوَاقِ		وَاتَّصَفُـواْ بِـأكْـرمِ الأَخْـلاقِ
ثُمَّ اصْطَفَـوا لِلوَصْلِ وَالتَّلاقِي		فِي حَـضْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالإِجْلَالِ

***

لَمَا خَلَواْ عَنْ كُلِّ لبْسٍ[1] نَفْسِـي		ثُـم تَحَلَّـوْا كُلَّ مَعنـىً قُـدْسِيِ
حَلُّوا بِرَوضَاتِ الرِّضَا وَالْأُنْسِ		عَنْـدَ مَلِيْـكٍ فِيْ مَقَـامٍ عَـالِ

***

بَانَـتْ لَهُـمْ مِـنْ نُـوْرِهِ الأَنْـوَارُ		وَانْفتَحَـتْ مِـنْ سِرِّهِ الأَسْرَارُ
وَاتَّضَحَتْ سُبلُ الهُدَى فَسَارُواْ		فيْـهِ بِـه فَـوْقَ ذُرَى المَعَـالِيْ

***

أَحبَّهُـمْ فَاخْتَارَهُـمْ لِنَفْسِـهْ		ثُـمَّ كَسَاهُـمْ مِـنْ مَعَانِي قُدْسِـهْ
وَعَمَّـهُـمْ بِجُـودِهِ وَأُنْسِـهْ		فَـهُـمْ لَـهُ وَهْـوَ لَهُـمْ مُـوَالِيْ

***

فَهُـمْ لَـهُ بَـيْنَ الْـوَرَى ضَنَائِـنْ		خَـزائِــنُ الأَسْـرَارِ والأَمَائِنْ
قَـدْ صَانَهُم عَنْ عَـيْنِ كُلِّ خَائِنْ		وَقَـدْ عَلَواْ عَنْ مَطْمَـحِ الأَنْذَالِ

*   *   *

رَشْفَةٌ مِنْ عَيْنِ جُودِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ تَعْيِينِ وُجُودِهِمْ

يَقُولُ قَوْمٌ عَنْ هُدَاهُمْ ضَلُّواْ　　قَدْ عُدِمُواْ فِي عَصْرِنَا أو قَلُّوا
فَقُلْ لَهُمْ كَلَّا وَلَكِنْ جَلُّوا　　عَنْ أَنْ تَرَاهُمْ أعْيُنُ الجُهَّالِ

***

فَكَيْفَ يَخْلُو عَالَمُ الشَّهَادَهْ　　عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ الْهُدَاةُ الْقَادَهْ
قَدْ حَفِظَ اللهُ بِهِمْ عِبَادَهْ　　وَصَانَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

***

فَهُمْ لِفَيْضِ فَضْلِهِ شعُوبُ　　تَحْيَا بِهِمْ بِنُورِهِ الْقُلُوبُ
وَتُغْفَرُ الزَّلاتُ وَالذُّنُوبُ　　وَتُدْفَعُ الآفَاتُ فِي الأَهْوَالِ

***

فَوَصْفُهُمْ فَضْلٌ بِلا فُضُولِ　　وَعَرْفُهُمْ نَفْعٌ بِكُلِّ نَوْلِ
وَاسْتَتَرُواْ بِجُنَّةِ الخُمُوْلِ　　عِنْدَ ظُهُورِ الْغَيِّ وَالضَّلالَ

***

فَلا يَزَالُ الدَّهرَ مِنْهُمْ قَوْمُ　　بِسِرِّهِمْ أَمْرُ الوَرَى يَقُوْمُ
وَرَحْمَةُ اللهِ بِهِمْ تَدُوْمُ　　بِكُلِّ غَيْثٍ وَابِلٍ هَطَّالِ

***

بِعَرْفِهِمْ يَعْرِفُ عِطْرَ القُرْبِ	كُلُّ مُحِبٍّ فِي هَوَاهُمْ صَبٍّ
بِسَمْتِ حَقٍّ مِنْ سِمَاتِ الْقُرْبِ	وَذَوقِ مَعْنىً جَلَّ عَنْ جِدَالِ

***

إِذَا رُؤُوا يُشْهَرُ ذِكْرُ اللهِ	فَهْوَ لَهُمْ سِيْمَا عَلَى الْجِبَاهِ
يُعْرَفُ مَعْنَاهُمْ بِلَا اشْتِبَاهِ	مِنْ حَيْثُ مَا يُعْرَفُ ذُو الْجَلَالِ

***

لَهُمْ مِنَ التَّقْوَى أَجَلُّ زِيْنَهْ	عِنْدَ لِقَاهُمْ تَنْزِلُ السَّكِيْنَهْ
وَتَحْصُلُ الْجَمْعِيَّةُ الْمُبِينَهْ	فَتَجْذِبُ الأَلْبَابُ بِانْفِعَالِ

***

حَالُ ذَوِي الدَّعْوَى لَهُم تُفَارِقْ	بِنُوْرِ فُرْقَانٍ يَرَاهُ الذَّائِقْ
لا بِارْتِفَاعِ الْجَاهِ وَالْخَوَارِقْ	وَلا بِحُسْنِ الْوَعْظِ وَالْأَقْوَالِ

***

فَإِنَّهُم كُلُّ مُنِيْبٍ خَاشِعْ	وَكُلُّ ذِي قَلْبٍ مُنِيْرٍ لَامِعْ
لَا مَنْ يُشِيْرُ النَّاسُ بِالأَصَابِعْ	وَهْوَ عَنِ السِّرِّ المَصُوْنِ خَالِ

***

فَكَمْ خَفِي فِي الْخَلْقِ مِنْ مِسْكِينِ	قَدِ امْتَلا مِنْ صَفْوَةِ الْيَقِيْنِ
وَهَانَ بَيْنَ النَّاسِ ذُو طِمْرَيْنِ	وَهْوَ لَدَى الْحَقِّ عَظِيمٌ عَالِ

***

وَهْوَ غِيَاثُ كُلِّ ذِي مَأْمُولِ   في أَفْضَلِ الخِصَالِ والأَحْوَالِ

***

وَكَم بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْ إِمْدَادِ   قَدْ نَالَهُ مَنْ كَانَ ذَا اعْتِقَادِ
في خَامِلٍ إِمَامِ حَقٍّ هَادِ   يَرَوْنَهُ النَّاسُ مِنَ الجُهَّالِ

***

فَإِنَّ فَيْضَ فَضلِهِ في النَّاسِ   جَلَّ عَنِ التَّقييدِ والْقِيَاسِ
طُرُقُهُ بِعَدَدِ الأَنْفَاسِ   وَجُودُهُ جَارٍ بِكُلِّ حَالِ

***

فَلَيْسَ يَخْتَصُّ بِذِي أَنْسَابِ   وَلا بِأَهْلِ الجِدِّ وَالأَسْبَابِ
بَلْ فَيْضُ فَضْلِ مُنْعِمٍ وَهَّابِ   فيْهِ النِّسَا يقْسِمْنَ كَالرِّجَالِ

***

فَوَيْحَ غَمْرٍ شَامِتٍ بالحَقِّ   يقولُ قَدْ مَاتَ رِجَالُ الصِّدْقِ
وَمَا بَقِي مِنْ بَعْدِهِمْ في الخَلْقِ   إِلا رُسُومِ الحَالِ مِنْ مُحَالِ

***

فَلَمْ تَزَلْ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمنِ   وَنَفَحَاتِ الجُوْدِ وَالإِحْسَانِ
سَوَابِغٌ أَعْلَتْ ذَوِي نُقْصَانِ   وَبلَّغتْ آمالَ ذِي آمَالِ

***

كَمْ قَرَّبَتْ مِنْ مُعْرِضٍ وَقَاصِي   وَأَنْقَذَتْ مِنْ زَائِغٍ وَعَاصِي
فَصَارَ بَعْدَ البُعْدِ ذَا اخْتِصَاصِ   وَفَازَ بالقُربِ بِلا إِعْجَالِ

***

وَكَـمْ دَنَـتْ مِـنْ دَيِّـنٍ ذي جِدٍّ   وَنالَهَـا بِالصِّـدْقِ والتَّصَـدِّي
وَخَـابَ مَـنْ في غَفْلَـةٍ وَبُعْـدِ   لمَّـا تَـمَـنَّـاهَـا بِـلا إقْـبَـالِ



رَشْفَةٌ مِنْ رَشْحِ عُنْصُرِهِمْ الزَّكِي
وَنَسْمَةٌ مِنْ رِيحِ عَنْبَرِهِم الذَّكِي

وَلَـمْ يَـزَلْ لِلْحَـقِّ سِـرٌّ سَـارِ   بِالجُـودِ وِالأَلطَـافِ وَالأَسْرَارِ
مِـنْ عَـالَمِ التَّقْدِيْـسِ وَالأَنْـوَارِ   في عَـالَمِ الأَجْسَـامِ وَالأَشْـكَالِ

❊ ❊ ❊

وَذَاكَ بِالفَضْـلِ وَبِالإِحْسَـانِ   سِرٌّ وُجُـودِ الْجَوْهَـرِ الإِنْسَـانِيْ
وَأَنَّـهُ خَلِيفَـةُ الـرَّحْمَـنِ   فِي الأَرْضِ لِلتَّنْزِيْـلِ وَالإِنْـزَالِ

❊ ❊ ❊

فَقَـدْ كَسَـاهُ عِـلْـمَـهُ وَنُـورَهْ   وَخَصَّـهُ مِنْـهُ بِـأَوْلَى صُـوْرَهْ
فَصَـارَ خَتْـماً فيْـهِ جَمْـعُ الـدَّوْرَهْ   وَفيْـهِ كُلُّ الأَمْـرِ بِالإِجْمَـالِ

❊ ❊ ❊

وَقَـدْ حَوَى فِيْ حَجْمِـهِ الصَّغِيْرِ   كُـلَّ مَعَـانِـي الْعَـالَـمِ الْكَبِـيرِ
وَصَـارَ فِي المَعْنَـى وَفِي التَّصْوِيرِ   كَنُسْـخَةٍ فِي الْوَضْـعِ وَالمِثَـالِ

❊ ❊ ❊

فَخُـصَّ بِالتَّفْضِيـلِ وَالتَّكْرِيْـمِ   وَخَلْقِـهِ فِي أَحْسَـنِ التَّقْوِيـمِ
وَنُـوْرِ عَقْـلٍ حَاكِـمٍ حَكِيْـمِ   أَطَـاعَ فِي الإِدْبَـارِ كَالإِقْبَـالِ

❊ ❊ ❊

فَحَمَلَ التَّكْلِيفَ وَالأَمَانَهْ　　وَقَدْ أَبَاهَا غَيْرُهُ اسْتِكَانَهْ
فأَعْلَى بِهَا فَوْقَ الوَرَى مَكَانَهْ　　إِذ كَانَ أَهْلاً لِلْخِطَابِ العَالِيْ

* * *

وَإنْ يَكُنْ فِي الجِسْمِ كَالبَهِيْمَهْ　　فَإِنَّ فِيهِ دُرَّةٌ يَتِيمَهْ
لَطِيفَةٌ عُلْوِيَّةٌ عَظِيْمَهْ　　مِنْ عَالَمِ الأمْرِ من الجَلالِ(١)

* * *

سِرٌّ شَرِيفٌ بَاهِرٌ رَبَّانِي　　وَجَوْهَرٌ مُقَدَّسٌ نُورَانِي
مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ ذَوِي الْعِرْفَانِ　　مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا مِثَالِ

* * *

فَهْيَ مَحَلُّ الفَضْلِ في الإِنْسَانِ　　وَمَنْبَعُ الأَسْرَارِ والمَعَانِيْ
وَمَطْلَعُ الأَنْوَارِ وَالبَيَانِ　　ومَنْزِلُ التَّنْزِيلِ والإِنْزَالِ

* * *

كَانَتْ هُدًى في عَالَمِ الأَرْوَاحِ　　فَابْتُلِيَتْ في قَالَبِ الأَشْبَاحِ
بِحَالَيِ الإِفْسَادِ وَالإِصْلاحِ　　وجُندِي الإِرْشَادِ وَالإِضْلالِ

* * *

وَصَارَ بَعْدَ النَّفْخِ وَالتَّرْكِيْبِ　　وَحَالُهَا في كَثْرَةِ التَّقْلِيبِ
كَرِيْشَةٍ في الرِّيحِ في كَثِيْبِ　　تَضْرِبُهَا خَوَاطِرُ الآمَالِ

* * *

وَعَـادَ بَعْـدَ المَـزْجِ للمَـزَّاجِ والخَلْـطِ لِلأَخْلاطِ والأَمْشَـاجِ
إِمَّـا لِنَقْـصٍ شَـان في اعْوِجَـاجِ أَوْ فـي نِظَـامٍ زَانَ فـيْ كَمَـالِ

* * *

لِتَظْهَـرَ الأَحْـكَامُ مِـنْ حَكِيْـمِ في الشُّكْرِ أَو في الكُفْرِ في النَّعِيْمِ
وَالخُلْـدِ في الجِنَـانِ وَالجَحِيْـمِ بِالفَضْـلِ أَوْ بِالْعَـدْلِ في المَـآلِ

* * *

وَكَانَ في الجِسْـمِ تَمَـامُ القُـوَّةْ إِلَى اعْتِـلا مَعَـارِجِ الفَتَـوَّةْ
بِشَـرْطِ تَقْيِيدِ الهَوَى وَالشَّـهْوَةْ بِالدِّيـنِ وَالعِلْـمِ بِـكُلِّ حَـالِ

* * *

وَأَحْسَـنُ الأَخْلاقِ في الإِنْسَانِ يَنَـالُهَـا مِـنْ هَـذِه المَعَـانـي
إِذْ كَمُلَـتْ بِأَحْسَـنِ اتِّـزَانِ وَانْتَظَمَـتْ بِأَعْـدَلِ اعْتِـدَالِ

* * *

بِهَـا يَصِيـْرُ العَبْـدُ في الصَّـلاحِ وَرُوحُـهُ في الجِسْـمِ بِالفَـلاحِ
كَمِثْـلِ مِشْـكَاةٍ عَلَى مِصْبَـاحِ زُجَاجَـةٍ بِـزَيْـتِهـا تُلالـي

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ مَشْهَدِهِمْ

فَمَنْ دَعَتْهُ دَعْوَةٌ مِنْ رَبِّهْ   فَأَخَذَتْ بِقَلْبِهِ وَلُبِّهْ
نَالَ الهَنَا ثُمَّ المُنَى فِيْ قُرْبِهْ   إِذْ صَارَ عَبْداً خَالِصَ الخِصَالِ

***

وَمَنْ سَعَى بِالحَقِّ فِي اجْتِهَادِهْ   وَالصِّدْقُ فِي تَقْوَاهُ خَيرُ زَادِهْ
فَسَوْفَ يُعْطَى القَصْدَ مِنْ مُرَادِهْ   بِقَرْعِ بَابِ الجُوْدِ بِابْتِهَالِ

***

وَعَنْ شُرُورِ طَبْعِهِ تَخَلَّى   ثُمَّ بِنُورِ شَرْعِهِ تَحَلَّى
وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى   مُسْتَقْبِلاً لِقِبْلَةِ الإِقْبَالِ

***

أَسْلَمَ بِالإِسْلامِ عَنْ دَعْوَاهْ   وَانْحَلَّ فِي الأَحْكَامِ عَنْ هَوَاهُ
فَصَارَ حَقّاً كُلّ مَا حَوَاهُ   لِلْحَقِّ فِي الحَقِّ بِلا انْفِصَالِ

***

وَصَارَ فِي الإِيمَانِ ذَا أَمَانِ   وبِارْتِفَاعِ الشَّكِّ ذَا اطْمِئْنَانِ
وَنَالَ فِي الإِحْسَانِ بالإِحْسَانِ   مَراتِبَ الحُسْنى عَلَى اتِّصَالِ

***

وَكُلَّ حِيْنٍ وَهْوَ فِي زِيَادَهْ عَلَى التُّقَى يَرْقَى ذُرَى السَّعَادَهْ
فِي صَالِحِ الأَعْمَالِ والعِبَادَهْ وَيَعْتَلِي كُلَّ مَقَامٍ عَالِ

***

حَتَى صَفَتْ أَوْصَافُهُ القُدْسِيَّهْ مِنَ الهَوَى وَالشَّهْوَةِ النَّفْسِيَّهْ
وَمِنْ قُيُودِ العَادَةِ الحِسِّيَّهْ صَارَ صَفِيَّ الحَقِّ صَافِي البَالِ

***

وَلَمْ يَزَلْ يَقْرُبُ مِنْ مَوْلاهُ بِكُلِّ نَفْلٍ يَبْتَغِي رِضَاهُ
حَتَى تَوَلَّى كُلَّ مَا وَالاهُ وَصَارَ مَوْلاه لَهُ مُوالِ

***

وَنَالَ أَسْنَى رُتْبَةٍ وَقُرْبَهْ مِنَ الهُدَى وَالدِّيْنِ وَالمَحَبَّهْ
وَصَارَ فِي كُلِّ انْتِمَا وَنِسْبَهْ لِلحَقِّ بِالحَقِّ بِلا انْتِقَالِ

***

وَكَانَ مَوْلاهُ لَهُ فيْمَا خَطَرْ يَداً وَرِجْلاً ثُمَّ سَمْعاً وَبَصَرْ
إن اسْتَعَاذَ عَاذَهُ مِنْ كُلِّ شَرْ وَإِنْ دَعَا أَجَابَهُ فِي الحَالِ

***

لَمَّا بِأَوْصَافِ النَّدَى تَعَلَّقْ ثُمَّ بِأَهْلِ الاقْتِدَا تَخَلَّقْ
ثُمَّ بِأَوْصَافِ الهُدَى تَحَقَّقْ زَهَا بِلُبْسِ خِلْعَةِ الكَمَالِ

***

لَمَّا اسْتَوَى لِلْحَقِّ بِاسْتِعْدَادِهِ وَانْحَلَّ بِالتَّجْرِيْدِ مِنْ قِيَادِهِ

حَتَّى فَنِي عَنْهُ وَعَنْ مُرَادِهِ أُهِّلَ لِلتَّقْرِيبِ والإِيْصَالِ

***

فَظَهَرتْ عَنْ حَالِهِ الصِّفَاتُ وَبَهَرتْ فِي بَالِهِ الآيَاتُ
وَذَاقَ مَا تَرْوِي لَهُ الرُّوَاةُ وَشَاهَدَ التَّفْصِيْلَ فِي الإِجْمَالِ

***

حَتَّى رَأَى حَقَائِقَ الوُجُوْدِ وَسَرَّها بِالكَشْفِ والشُّهُودِ
وَفَيْضَهَا مِنْ عَيْنِ مَعْنَى الجُوْدِ بِعِزَّةِ البَارِئِ ذِي الجَلالِ

***

فَذَاقَ مَعْنَى عَجْزِهِ فِي نَفْسِهْ وَفَقْرَهُ فِي عَقْلِهِ وَحِسِّهْ
وَأَنَّ عَزَّ رَبَّهُ فِي قُدْسِهْ إِلَيْهِ كُلُّ الفَضْلِ وَالكَمَالِ

***

وَكُلُّ سِرٍّ قَدْ سَرَى فِي الكَوْنِ عِنْدَ ظُهُوْرِ الأَمْرِ وَالبُطُونِ
نُورُ تَجَلِّي الحَقِّ فِي الشُّؤونِ وإِنَّ كُلَّ الكَوْنِ كَالخَيَالِ

***

فَحَقَّقَ التَّفْرِيْقَ فِي التَّفْرِيْدِ وَدَقَّقَ التَّحْقِيقَ فِي التَّوْحِيْدِ
فِي حَضْرَةِ الإِطْلاقِ وَالتَّقْيِيْدِ فِي الذَّاتِ والأَوْصَافِ والأَفْعَالِ

***

وَصَارَ بِالْعِلْمِ لَهُ وُصُولُ وَفِي فِنَا القُرْبِ لَهُ حُصُوْلُ
وَحَبْلُهُ بِقُربِهِ مَوْصُولُ بِأَكْرَمِ الإِكْرَامِ وَالوِصَالِ

***

لا قَـوْلَ ذِي الإِلْحَادِ بِاتِّحَادِ   وَلا حُلُوْلٍ قَطُّ فِي اعْتِقَادِ
فَجَلَّ أَهْلُ الحَقِّ وَالرَّشَادِ   عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلالِ

* * *

فَجَلَّ وَجْهُ رَبِّنَا العَظِيْمِ   عَـنْ كُلِّ مَنْسُوْبٍ إلى عَدِيْمِ
عَـزَّ قُدْسُ وَصفِهِ القَدِيْمِ   عَـنِ اتِّصَالٍ فِيْهِ وانْفِصَالِ

* * *

إِذْ لا يَنَالُ العَبْدُ كُنْهَ ذَاتِهْ   أَوْ كُنْهَ مَا أَوْحَاهُ مِنْ صِفَاتِهْ
فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى إِثْبَاتِهْ   لِكُلِّ مِا أَثْبَتَ بِالإِجْلالِ

* * *

بَلْ عَجْزُهُ عَنْ دَرْكِهِ الإِدْرَاكُ   ومَا لَهُ عَنْ عَجْزِهِ انْفِكَاكُ
وَمَا بِعزِّ ربِّهِ اشتراكُ   لمَّا كساهُ قدرةَ الأعمالِ

* * *

لَكِنْ بِمَحْضِ الفَضْلِ مِنْ مَوْلاهُ　　　أَوْلاهُ بِالإِفْضَالِ مِا أَوْلاهُ
لِيَبْلُغَ المَقْصُوْدَ مَنْ وَالاهُ　　　وَيَرْتَقِي كُلَّ مَقَامٍ عَالِيْ

***

يَا عَجَباً كَيْفَ نَأَى عَن ذِكْرِهْ　　　حَتْى سَهَا عَنْ حَقِّهِ وَشُكْرِهْ
وَلَمْ يُقَيِّدْ أَمْرَهُ بِأَمْرِهْ　　　بَلْ مَالَ فِي الجَهْلِ بِلا احْتِفَالِ

***

فَصَارَ فِي التَّفْرِيْطِ وَالإِفْرَاطِ　　　وَضَاعَ فِي التَّخْلِيْطِ بِاخْتِلاطِ
فلم يزل مِنْ بَعْدُ فِي انْحِطَاطِ　　　مِنْ عُلْوِهِ فِي أَسْفَلِ الأَسْفَالِ

***

مثالُهُ فِي الجَهْلِ وَالأَوْهَامِ　　　كَحَائِرٍ فِي البَحْرِ فِي الظَّلامِ
فِيْ لُجَّةِ الأَمْوَاجِ وَالقِتَامِ　　　لا يَهْتَدِي فِي حَالِهِ[1] بِحَالِ

***

وَحَالُهُ فِيْ خَيْبَةِ المَآبِ　　　كَحَالِ مَنْ يَغْتَرُّ بِالسَّرَابِ

عِندَ الظَّمَا إذْ خَابَ في الحِسَابِ   وَاكْتَالَ فيمَا كَالَ مِنْ نَكَالِ

***

فَهَلْ لَهُ مِنْ وَاعِظٍ في قَلْبِهْ   أَوْ نَاصِحٍ مِنْ عَقْلِهْ وَصَحْبِهْ
أَوْ زَاجِرٍ مِنْ مَوْتِهِ وقُرْبِهْ   فَمَا لَهُ بِالمَوْتِ لا يُبَالِي

***

هَلْ اسْتَعَدَّ بِالتُّقَى في زَادِهْ   وَخَافَ يَوْمَ الحَشْرِ في مَعَادِهْ
يَوْمَ يَحِيْرُ المَرْءُ في مُرَادِهْ   وَلا تُفِيْدُ حِيْلَةُ المُحْتَالِ

***

فَلَيْسَ يَنْجُو العَبْدُ مِنْ رَدَاهُ   إلاَّ بِخَيْرٍ قَدَّمَتْ يَدَاهُ
فَفَازَ مَنْ دِيْنُ الهُدَى هُدَاهُ   وَزَادُه مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ

***

فَلْيَغْتَنِمْ ذُو العَقْلِ بَاقِي عُمْرِهْ   وَلْيَدَّخِرْ مِنْ يُسْرِهْ لِعُسْرِهْ
وليستَعِنْ بِرَبِّهِ في شُكْرِهْ   وَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ مَالِ

***

وَلْيَجْتَهِدْ بِجِدِّهِ وَصَبْرِهْ   عَلَى الوَفَا بِنَهْيِهْ وَأَمْرِهْ
وَلْيَخْشَ سَبْقَ بَطْشِهِ وَزَجْرِهْ   أَوْ مَكْرِهِ في المَدِّ وَالإمْهَالِ

***

فَكَيْفَ يَرْضَى ذُو نُهَى وَدِيْنِ   بَعْدَ ظُهورِ الحَقِّ وَاليَقِيْنِ
مِنْ أَمَانِي الظَّنِ وَالتَّخْمِينِ   بَلْ يَطْلُبُ المَقْصُودَ باسْتِعْجَالِ

***

فَذُو النُّهَى يَخْشَى هُجُومَ الفَوْتِ فَيَسْتَعِدُّ زادَهُ لِلْمَوْتِ
وَيضبِطُ الأَوْقَاتَ بِالمَوقُوتِ مُحَاسِباً لِلنَّفْسِ فِي الأَفْعَالِ

* * *

وَالأَحْمَقُ المَغْبُونُ مَنْ دَسَّاهَا وَاتَّبَعَ اللَّذاتِ فِيْ هَوَاهَا
وَبِالأَمَانِيْ اغْتَرَّ مِنْ نَجْوَاهَا وَرَدَّ وَجْهَ الحَقِّ بِالخَيَالِ

* * *

وَالكَيِّسُ المُفْلِحُ مَنْ زكَّاها وَسَامَهَا بِالصَّبْرِ فِي تَقْوَاهَا
حَتَّى ابْتلَى مَا كَانَ مِنْ دَعْوَاهَا فِي سَائِرِ الأَخْلاقِ وَالأَحْوَالِ

* * *

فَإِنَّهَا أمَّارةٌ بِالشَّرِّ وَقَدْ تُرى لوَّامةً في السِّرِ
إِن عُوِّدَتْ فِعْلَ التُّقَى وَالبِرِّ بِهِ اطْمَأَنَّتْ بَعْدُ في امْتِثَالِ

* * *

وإنَّها في خِلقَةِ الإنْسَانِ مَنْزَعُ كُلِّ الإِثْمِ وَالطُّغْيَانِ
وَمَنْبعُ الوَسْوَاسِ لِلشَّيْطَانِ في الكَيْدِ وَالتَّلْبِيْسِ وَالإِضْلالِ

* * *

فَهْوَ لَهَا عِنْدَ الهَوَى قَرِيْنُ يَمُدُّهَا بِغَيِّهِ اللَّعِيْنُ
وَكَيْدُهُ لِلْمُهْتَدِيْ يَبِيْنُ وَشَرُّهُ فِي الخَيْرِ بِاحْتِيَالِ

* * *

وَكَمْ سَبى الأَنجابَ بِالأَصْحابِ وَبِالنِّسَا وَالأَهْلِ وَالأَطْفَالِ

***

وَمَا لِعَبْدٍ عَنْهُ مِنْ خَلاصِ إلاَّ بِتَقْوَى الله وَالإِخْلاصِ
وَتَرْكِ كُلِّ الإِثْمِ وَالمَعَاصِي وَالأَخْذِ بِالدِّينِ بِكُلِّ حَالِ

***

مُراقِباً في شَأْنِهِ لِرَبِّهْ مُرْتَقِباً لِفَضْلِهِ وَقُرْبِهْ
مُرَاعِياً لِعَيْنِ مَعْنَى قَلْبِهْ في كُلِّ تَقْلِيبٍ وَفي انْتِقَالِ

***

مُجْتَهِداً في حِفْظِ سِرِّ القَلْبِ فَإِنَّهُ إنْ زَانَ بَيْتُ الرَّبِّ
وَحَيْثُ شَانَ فَهْوَ مَأْوَى الكَلْبِ وَأَصْلُ مَنْشَا دَائِهِ العُضَالِ

***

يَرْعَى بِعَيْنِ الشَّرْعِ كُلَّ خَاطِرْ بِنُورِ عِلْمٍ بَاطِنٍ وَظَاهِرْ
فَمَا بِوِفْقِ الحَقِّ فَلْيُبَادِرْ وَلْيَجْتَنِبْ في النَّهيِ وَالإِشْكَالِ

***

وَقَلْبُهُ إنْ كَانَ ذَا اطْمِئْنَانِ عَلَى الهُدَى أَغْنَاهُ عَنْ بَيَانِ
فَإِنْ يَقِرَّ فَهْوَ عَنْ إِحْسَانِ وَإِنْ يَفِرَّ فَهْوَ عَنْ ضَلالِ

***

وَإِنْ يَكُنْ مُقَدَّساً نُورَانِيْ يَذُوقُ فَهْمَ الخَاطِرِ الرَّبانِيْ
وَالمَلَكِي بِالنُّورِ وَالشَّيْطَانِيْ بِالغَيِّ وَالنَّفْسِيِّ بِاشْتِغَالِ

***

وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ سُلْطَانِ عَلَى ذَوِيْ الإِحْسَانِ وَالإِيْمَانِ
إِذْ حُفِظُوا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَاعْتَصَمُوا بِأَكْمَلِ اتِّكَالِ



رَشْفَةٌ مِنْ تَنَزُّهَاتِـهِمْ عَنِ الْعُيُوب
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَشْرِ ثَنَائِهِمِ المَحْبُوب

فَوَيْـلُ عَبْـدٍ ضَـلَّ عَـنْ نَجَاتِـهْ وَضَـاعَ في اللَّهْـوِ حَـوَى حَيَاتِهْ
وَظَـنَّ بِالجَهْـلِ صَفَـا صِفَاتِـهْ وَهْـوَ لَـدَى الحَـقِّ بِأَسْـوا حَالِ

***

هَلَّا اقْتَفَى أَسْلافَ صِدْقٍ فُطَنَا قَـدْ طَلَّقُوا الدُّنْيَـا وَخَافُوا الْفِتَنَا
وَرَكِبُـوا مَتْـنَ طَرِيْـقٍ حَسَـنَا فَسَـلِمُوا مِـنْ سَـائِرِ الأَهْـوَالِ

***

هَلَّا اقتفـى بِهَدْيِ قَـوْمٍ صَدَقُوا وَبَاصْطِبَـارٍ في عَفَـافٍ سَـبَقُوا
وَعَرَفُـوا لِأَيِّ مَعْنًـى خُلِقُـوْا قَضَـواْ بِـهِ الأَيَّـامَ وَاللَّيَالِـيْ

***

فَإِنَّـمَـا أُوْتِـيَ هُـدًى وَقُـوَّهْ يَـمُدُّهَـا كُـلُّ غِـذاً وَشَـهْوَهْ
لِيَـرْتَقِـي إلـى ذُرَى الفُـتُـوَّهْ وَيَتَّقِـي بِـأَفْضَـلِ الأَعْمَــالِ

***

فَالشَّـهْوَتَانِ سَـبَبَاهُ في البَقَـا عَوْنَـاهُ بِالعَـدلِ عَـلَى كُلِّ تُقـى
لَكِـنْ مَـعَ التَّفْرِيْطِ عَادَ بِالشّـقا عَلَيْـهِ بـالضُّــرِّ بِـلا إِمْـهَـالِ

***

وَكَيْفَ يَرْضَى عَاقِلٌ وَعَالِمْ بِعُمْرِهِ في عِيْشَةِ البَهَائِمْ
عَنْ جِيْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالمَكَارِمْ يَبِيْعُ بِالدُّونِ الأَعَزَّ الغَالِيْ

***

حَسْبُ التَّقِيِّ مَا يُقِيْمُ صُلْبَهْ أَو ثُلُثَاهَا أَكلَهُ وَشُرْبَهْ(١)
وَثُلثٌ لِنَفسٍ مِنْ كُرْبَهْ فَالدَّاءُ مِلْءُ البَطْنِ مِنْ حَلالِ

***

إِذْ يَمْلأُ القَلْبَ امْتِلَاهَا ظُلْمَهْ وَيَعْتَلِي جُنْدُ الهَوَى وَالنُّهْمَهْ
فَكَيْفَ حَالُ شُبهةٍ أو حُرْمَهْ فَالسُّحْتُ في النَّارِ بِلا جِدَالِ

***

فَإِنَّ أَمْرَ الجِسْمِ لِلْبَطْنِ تَبَعْ وَالدِّيْنُ مَبْنِيٌّ عَلَى أُسِّ الْوَرَعْ
وَالنُّوْرُ في الحِلِّ وَيَطْفِيهِ الشِّبَعْ فَاطْلُبْهُ وَاقْلِلْ مِنْهُ فَهْوَ الغَالِيْ

***

وَقُلِّدَ الإِنْسَانُ سَيْفاً مِنْ غَضَبْ لِيَحْتَمِي دُنْيَا وَدِيْناً مِنْ عَطَبْ
فَكَيْفَ بِالتِّيْهِ وَبِالبَغْيِ انْقَلَبْ عَلَيْهِ عَطْباً دَائِمَ الوَبَالِ

***

فَكَيْفَ مَنْ مِنْ عَدَمٍ إلى عَدَمْ وَكُلُّهُ عَجْزٌ وَفَقْرٌ وَنَدَمْ
يَتِيهُ عُجْباً إِنْ كُسِي ثَوْبَ نِعَمْ عَارِيَةٌ مِنْ فَضْلِ ذِيْ الإِفْضَالِ

***

فَإِنْ يَكُنْ دِيناً فَبِالعُجْبِ فَسَدْ وَإِنْ يَكُنْ دُنْيَا فَبِالبَغْيِ تُرَدْ
شَرّاً عَلَيْهِ وَبِهَا يَشْقَى الأَبَدْ وَرُبَّمَا يُسْلَبُهَا فِي الحَالِ

* * *

وَكَيْفَ كِبْرُ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَى افْتَقَرْ بَلْ رُبَّمَا عَادَى ذُبَاباً فَقَصَرْ
وَكَيْفَ يَدْرِيْ حَالَهُ خَيْراً وَشَرْ وَمَا لَهُ فِي الحَالِ وَالمَآلِ

* * *

وَكَيْفَ حَالُ مَنْ عَلَى بَابِ الفِنَا يَفْتِنُهُ فِي الدِّينِ جَاهٌ وَثَنَا
وَالجَهْلُ والعَجْزُ بِهِ قَدْ عُجِنَا وَلَيْسَ يَدْرِي بَعْدُ مَا يُصَالِيْ

* * *

وَهَلْ لَهُ فِي كُلِّ جَاهٍ وَاعْتِلا إِلى عَنَا كُلِّ اشْتِغَالٍ وابْتِلا
بَلْ رُبَّمَا آذَاهُ بُغْضٌ وَقِلا مِنْ حَاسِدٍ والجَاهُ كَالخَيَالِ

* * *

بَلْ رُبَّمَا يَخْلَعُ فِي الجَاهِ الحَيَا مِنْ رَبِّهِ وَيَكْتَسِي ثَوْبَ رِيَا
وَيَرْتَدِي رِدَاءَ شِرْكٍ خَفِيَا يُحْبِطُ مِنْهُ صَالِحَ الأَعْمَالِ

* * *

كَيْفَ يُرَائِي العَبْدُ عَبْداً فَانِيْ لَيْسَ يُكَافِيْ فِي أَقَلِّ شَانِ
بِدِيْنِ رَبٍّ قَاهِرٍ دَيَّانِ مُطَّلِعٍ عَلَى خَفَايَا البَالِ

* * *

فَكَمْ هَوَى فِي الضُّرِّ وَالضَّلالِ قَوْمٌ بِقَصْدِ الجَاهِ وَالأَمْوَالِ

وَكَمْ فَقِيْرٍ فِي الخُمُولِ سَالِ قَدْ فَازَ بِالعَيْشِ وَبِالآمَالِ

***

كَمْ أَهْلَكَا عَبْداً لِحِقْدٍ وَحَسَدْ فِي نِعْمَةٍ مِنْ قِسْمَةِ الحَقِّ الصَّمَدْ
فَأَفْسَدَ العَيْشَ وَأَمْسَى فِي كَمَدْ دُنْيَا وَأُخْرَى دَائِمَ النَّكَالِ

***

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا حَضَرْ لَهُ بَلاغٌ وَاعْتِبَارٌ لَوْ عَبَرْ
وَكَيْفَ يَغْتَرُّ بِحُلْوٍ مِنْ نَظَرْ قَدْ شِيْبَ بِالضُّرِّ وَبِالأَشْغَالِ

***

فَحَسْبُهُ مِمَّا يَرَاهُ القُوتُ مَا أَكْثَرَ القُوْتَ لِمَنْ يَمُوْتُ
فَالرِّزْقُ بِالإِجْمَالِ لا يَفُوْتُ وَلا يَزِيْدُ القِسْمُ بِاسْتِعْجَالِ

***

وَوَيْحَ مَمْلُوْكٍ لِحِرْصٍ وَطَمَعْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَا جَرَى فِيْمَنْ جَمَعْ
كَمْ جَامِعٍ مَالاً عَظِيماً مَا انْتَفَعْ بِهِ وصَارَ لِلعَدُوِّ القَالِي

***

وَكَيْفَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا يَجْرِي بِغَدْ وَلا مَتَى المَوْتُ وَفِي أَيِّ بَلَدْ
يَلْهُو بِمَالٍ أَوْ نِسَاءٍ أَوْ وَلَدْ عَنْهُ وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ أَهْوَالِ

***

رَشْفَةٌ مِنْ سُلافةِ أَسْلَافِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ أَعْرَافِهِمْ

وَلَيْسَ يَنْجُو العَبْدُ مِنْ كُلِّ رَدَى   إِلَّا إِذَا بِالحَقِّ فِي الصِّدْقِ اهْتَدَى
فَسَوْفَ يُعْطَى كُلَّ فَوْزٍ وَهُدَى   بِالفَضْلِ فِي الحَالِ وَفِي المَآلِ

❊ ❊ ❊

لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذَرِيعَهْ   إِلَى هُدًى أَوْ رُتْبَةٍ رَفِيعَهْ
إِلَّا اتِّبَاعُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَهْ   وَقَصْدُ وَجْهِ اللهِ ذِي الجَلَالِ

❊ ❊ ❊

فَلْيَسْتَجِبْ للهِ ذُو الإِنَابَهْ   فَرَبُّهُ مَدَّ لَهُ أَسْبَابَهْ
إِلَى الهُدَى بِفَتْحِهِ أَبْوَابَهْ   لَهُ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ عَالِ

❊ ❊ ❊

فَإِنَّ هَذَا العَالَمَ الإِنْسَانِيْ   خُصَّ بِمَحْضِ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
بِالعِلْمِ وَالعَقْلِ وَبِالبَيَانِ   بِالوَحْيِ فِي الإِنْبَاءِ وَالإِرْسَالِ

❊ ❊ ❊

وَلَمْ تَزَلْ مَعَارِجُ الهِدَايَهْ   فِيهِ لَهُ بِالحَقِّ وَالرِّعَايَهْ
رِسَالَةٌ نُبُوَّةٌ وِلَايَهْ   تُنْجِيهِ مِنْ زَيْغٍ وَمِنْ ضَلَالِ

❊ ❊ ❊

فَالأَنْبِيَا بِالمَنْصِبِ المُنِيْفِ جَاؤُوا بِكُلِّ مُرْشِدٍ شَرِيْفِ
خُصُّوا بِوَحْيِ الحَقِّ وَالتَّعْرِيْفِ بِالوَهْبِ لا بِالكَسْبِ وَالأَعْمَالِ

***

تَنَزَّهُوا عَنْ سَائِرِ العُيُوْبِ وَجَهْلِ عِلْمِ الدِّيْنِ لا الغُيُوْبِ
وَعُصِمُوا عَنْ جُمْلَةِ الذُّنُوْبِ فِي القَصْدِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

***

وَقَدْ أَتَى مِنْهُمْ كِرَامُ الرُّسْلِ بِكُلِّ هَدْيٍ فَاضِلٍ وَفَضْلِ
وَكُلِّ شَرْعٍ فَاصِلٍ وَفَصْلِ فَبَلَّغُوا مَا حُمِّلُوا مِنْ حَالِ

***

فَأَظْهَرُوا كُلَّ مُنِيْرٍ شَارِقْ وَأُيِّدُوا بِبَاهِرِ الخَوَارِقِ
فَقَطَعُوْا كُلَّ مُعَادٍ مَارِقْ وَكُلَّ ذِي جَحْدٍ وَذِيْ إِشْكَالِ

***

فَفِي الوَرَى حَبْلُ الهُدَى مَوْصُوْلُ بِحَقِّهِمْ وَالحَقُّ لا يَزُوْلُ
كُلُّ رَسُوْلٍ بَعْدَهُ رَسُوْلُ فَحُجَّةُ الحَقِّ بِهِمْ تُلالِيْ

***

كُلُّ رَسُوْلٍ قَامَ يَدْعُو أُمَّهْ إِمَّا لِوَصْلِ نِعْمَةٍ أَوْ رَحْمَهْ
أَوْ لِظُهُوْرِ حُجَّةٍ فِي نِقْمَهْ بِالفَضْلِ أَوْ بِالعَدْلِ بِاعْتِدَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ بحْرِ أَعْظَمِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أكْرَمِهِمْ

وَقَـدْ أَتَانَـا خَاتَـمُ الرِّسَـالَهْ بِكُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ حَالَهْ
فَعَـمَّ كُلَّ الخَلْـقِ بِالدَّلَالَـهْ وَأَشْرَقَـتْ مَنَاهِـجُ الكَـمَالِ

❋ ❋ ❋

فَكُلُّـهُ فَضْـلاً أَتَـى وَرَحْمَـهْ وَكُلُّهُ حُكمٌ هُـدًى وَحِكْمَهْ
وَهْـوَ إِمَـامُ كُلِّ ذِي مُهِمَّـهْ وَقُـدْوَةٌ فِي سَـائِرِ الخِصَـالِ

❋ ❋ ❋

فَهْوَ بِحَقِّ الشُّـكْرِ مَـا أَوْلاهُ إِذْ قَامَ حَتَّـى وَرِمَتْ رِجْلاهُ
وَوَاصَلَ الصَـوْمَ وَقَدْ أَوْلاهُ مُـوْلاه أَوْلَى الفَضْلِ وَالإفْضَالِ

❋ ❋ ❋

وَفِي السَّخَا كَأَنَّهُ البَحْرُ زَخَرْ يُعْطِي مَئِيناً وَأُلُوْفاً مَنْ حَـضَرْ
وَمَا اصْطَفَى لِنَفْسِهِ وَمَا ادَّخَرْ إِلَّا يَسِـيْراً وَهْـوَ ذُو العِيَـالِ

❋ ❋ ❋

وَلَيسَ حُبُّ الطِّيْبِ وَالنِّكَاحِ إِلا لِجَمْـعِ القَلْبِ وَالأَرْوَاحِ

وَنُسْوةٌ عَوْناً عَلَى الإصْلاحِ[1] يَرْوِيْـنَ عَنْهُ أَكْـرَمَ الأَحْوَالِ

***

وَأُسْوةُ المَكْرُوْبِ في اصْطِبَارِ فِي كُلِّ مَا قَاسَـى مِنَ الكُفَارِ

حَتَّى رُمِيْ بِالفَرْثِ وَالأَحْجَارِ وَمَـا دَعَـا إِلاَّ عَـلَى رِجَـالِ

***

وَسَـلْوةٌ لِمُعْسِـرٍ مِسْـكِيْنِ إِذْ صَحَّ لَمْ يَشْـبَعْ وَلا يَوْمَيْنِ

وَقَـدْ أَبَـى جِبَالَهَـا مِـنْ عَيْنِ زُهْداً وَمِنْ جُوْعٍ طَوَى لَيَالِيْ

***

وَلَمْ يَزَل في الحَـقِّ في اجْتِهَادِ وَبَعْدَ فَرْضِ الغَزْوِ وَالجِهَادِ

مَـا قَـرَّ في ظِـلٍّ وَلا بِـلَادِ إِلاَّ عَـلَى الكُفَّـارِ فِيْ قِتَـالِ

***

وَمَا مَضَـى حَتَّى أَقَامَ الدِّيْنَا وَصَارَ سَـهْلاً وَاضِحاً مُبِيْنَا

فَلَـمْ تَخَـفْ أُمَّتُـهُ فُتُوْنَـا بَلْ عُصِمُوا في الجَمْعِ عَنْ ضَلالِ

***

وَصَحْبُـهُ فِيْهِـم لَهُـمْ نُجُوْمُ بِهِمْ عَلَيْهِم فَاضَـتِ العُلُوْمُ

كُلٌّ لَـهُ مُقَـدَّرٌ مَقْسُـوْمُ مِنْ ظَاهِـرٍ أَوْ بَاطِنٍ أَوْ حَالِ

***

وَالخُلَفَاءُ بَعْدَه وَالعِتْرَةْ بِهِمْ مَعَ القُرآنِ مُسْتَمِرَّةْ

مِلَّتُهُ مَحْفُوظَةٌ مِنْ فَتْرَةْ عَلَى الهُدَى دَأباً بِلا انْفِصَالِ



رَشْفَةٌ مِنْ مَنْبَعِ عُلُومِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَطْلَعِ فهُومِهِمْ[1]

فَإِنَّ كُلَّ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ الدَّائِمِ الْغَضِّ مَدَى الأَزْمَانِ
وَسُنَّةُ الْمُخْتَارِ فِي الْبَيَانِ لَـهُ لَدَى الْإِدْمَاجِ وَالإِجْمَالِ

***

فَهْوَ كَوَحْيٍ دَامَ بِالْغُيُوبِ وَالْعُلَمَا فِي الْوَعْيِ فِي الْقُلُوبِ
كَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي يَعْقُوبِ وَمَنْ دَعَا مِنْهُمْ كَذِي إِرْسَالِ

***

وَلَمْ يَزَلْ وَدِينُهُ جَدِيدُ فِي كُلِّ قَرْنٍ قَائِمٌ يُعِيدُ
تَجْدِيدَهُ وَعِلْمَهُ يُفِيدُ يَدْفَعُ عَنْهُ ذَا الْجَفَا وَالْغَالِي

***

وَرَحْمَةٌ بِسَتْرِ حَالِ الْأُمَّهْ عَنِ افْتِضَاحِ ذِي هَوًى وَظُلْمَهْ
أَوِ اتِّضَاحِ رِيبَةٍ أَوْ وَصْمَهْ تَظْهَرُ عِنْدَ الْوَحْيِ بِانْبِذَالِ

***

إِذْ رُبَّمَا يَكْفُرُ فِي عِصْيَانِ لِمُرْسَلٍ لَا عَالِمٍ رَبَّانِي

---

(١) وفي نسخة: «فتوحهم»، عن هامش النسخة ب.

وَإِنَّمَا بِالْفِسْقِ وَالطُّغْيَانِ يُرْمَى وَقَدْ يُسْتَرُ فِي أَحْوَالِ

* * *

بَلْ فِي عُمُومِ الظَّنِّ فِي المَسْمُوعِ وَفِي اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْفُرُوعِ
صَوْنٌ عَنِ الطُّغْيَانِ بِالمقْطُوعِ وَالْخَرْقِ لِلإِجْمَاعِ بِالضَّلَالِ

* * *

وَرَحْمَةٌ بِعَاجِزٍ ضَعِيفِ قَلَّدَ قَوْلَ عَالِمٍ عَفِيفِ
وَفِتْنَةٍ لِذِي هَوًى سَخِيفِ يَقْفُو هَوَى النَّفْسِ وَلَا يُبَالِي

* * *

وَلَا يَضُرُّ الطَّعْنَ فِي شَرْعِيَّهْ بِالظَّنِّ فِي مَسْأَلَةٍ فَرعِيَّهْ
لِأَنَّهَا أُصُولُهَا قَطْعِيَّهْ مَحْفُوظَةٌ بِأَكْمَلِ اسْتِدْلَالِ

* * *

بَلْ فِيهِ فِي فَهْمٍ لِذِي اجْتِهَادِ أَجْرَانِ أَوْ أَجْرٌ لِكُلِّ هَادِي
وَفَضْلِ ذِي جِدٍّ أَوِ ازْدِيَادِ وَذِي(1) احْتِيَاطٍ عِنْدَ ذِي إِشْكَالِ

* * *

فَالْعُلَمَا خُصُّوا بِحُسْنِ الْفَهْمِ وَوَعْيِ كُلِّ حِكْمَةٍ وَحُكْمِ
وَمَا لَهُ فِي فَضْلِهِ مِنْ قِسْمِ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ فِي الأَعْمَالِ

* * *

وَهْوَ مِنَ الرُّسْلِ بِحُكْمِ الإِرْثِ لِلعُلَمَا أُولِي هُدًى وَحَرْثِ
وَالسَّعْيُ فِي تَحْصِيلِهِ بِالْبَحْثِ مِنْ أَفْضَلِ التَّقْوَى لِذِي الجَلَالِ

وَبَعْضُهُمْ بِالفَصْلِ فِي الأَحْكَامِ وَالجَمْعِ لِلخَلْقِ عَلَى نِظَامِ
كَحَالَتَيْ دَاوُدَ فِي الأَنَامِ وَالطَّيْرِ وَالأَوْحَاشِ وَالجِبَالِ

***

وَبَعْضُهُمْ فِي مُلْكِهِ القَوِيْمِ أَظْهَرَ مَعْنَى حِكْمَةِ الحَكِيْمِ
حُكْمُ سُلَيْمَانَ عَلَى عَظِيْمِ جُنُوْدِهِ بِأَمْثَلِ امْتِثَالِ

***

وَبَعْضُهُمْ دَعَا بِكَشْفِ الغُمَّهْ لَمَّا عَصَتْهُ إِذْ هَدَاهَا أُمَّهْ
صَارَ عَلَيْهَا حُجَّةً فِي النِّقْمَهْ كَحَالِ نُوْحٍ مَعْ ذَوِي الضَّلالِ

***

وَبَعْضُهُمْ أَظْهَرَ أَسْنَى صَبْرِ وَعِفَّةٍ فِي مِحْنَةٍ وَضُرِّ
رَاضٍ بِقَهْرٍ مُرْتَضٍ فِي الأَمْرِ كَالحَالِ فِي أَيُّوبَ فِي اعْتِدَالِ

***

وَبَعْضُهُمْ أُقِيْمِ فِي تَصْرِيْفِ فِي بَاطِنِ الأَحْوَالِ بِالتَّوْقِيْفِ
فَهْوَ عَلَى التَّعْرِيْفِ وَالتَّأْلِيْفِ كَالخَضِرِ البَاقِي بِلا إِبْدَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ مَوْرِدِ مَذَاهِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ وَارِدِ مَوَاهِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُواْ فِي الفَتْحِ وَالمَوَاهِبْ   وَفِيْ حُصُوْلِ القُرْبِ وَالمَطَالِبْ[1]
بِسِرِّ حَقٍّ بَاطِنِيٍّ غَالِبْ   أَوْ ظَاهِرٍ بِأَفْضَلِ الإِفْضَالِ

❋ ❋ ❋

فَمِنْهُمُ القَوْمُ ذَوُو الدَّوَائِرِ   يُبْصِرُهُمْ فِيْهَا ذَوُو البَصَائِرِ
بِهِمْ يَسِيْرُ السِّرُّ فِي السَّرَائِرِ   وَيَحْصُلُ التَّحْوِيْلُ فِي الأَحْوَالِ

❋ ❋ ❋

كَالغَوْثِ وَالقُطْبَيْنِ وَالأَوْتَادِ   وَسَبْعَةٍ يُدْعَونَ بِالعِمَادِ
وَالنُّجَبَا وَالأُمَنَا الأَفْرَادِ   وَالنُّقَبَا وَالذُّخْرِ وَالأَبْدَالِ

❋ ❋ ❋

فَكُلُّهُمْ تَمُدُّهُمْ رَقَائِقْ   بِمَا أَرَادَ الحَقُّ فِي الحَقَائِقْ
يَظْهَرُ فِيَهَا الأَمْرُ فِي الخَلَائِقْ   بِالعَدْلِ أَوْ بِالفَضْلِ وَالنَّوَالِ

❋ ❋ ❋

وَكُلُّهُمْ فِي رُتْبَةٍ قُرْبِيَّهْ   مَعْقُوْدَةٍ بِنِسْبَةٍ رَبِّيَّهْ

مَشْـهُـوْدَةٍ فـي سُـنَّةٍ قَلْبِيَّـهْ   فِي سَـائِرِ الأَفْعَـالِ بِانْفِعَـالِ

* * *

وَبَعْضُهُـمْ بِـنَـفْـحَـةٍ حُبِّيَّـهْ   عَلَـى بُـرَاقِ بَرْقَـةٍ جَذْبِيَّـهْ

سَرَى إلى أَعْـلَى الـذُّرَى القُرْبِيَّهْ   فَأَصْبَحَـتْ مِـنْ تَحْتِـهِ المَعَـالِيْ

* * *

أَضْحَى عَرُوْساً في رِيَاضِ الأُنْسِ   يَرْوِيْ أَحَادِيْثَ الجَنَابِ القُدْسِي

لَمْ يَـدْرِ مَـا طَعْـمُ جِهَـادِ النَّفْسِ   وَلا عَنَـاءُ السَّـيْرِ وَالتِّرْحَـالِ

* * *

لَمْ يُمْتَحَـنْ بِالفَتْـحِ في انْتِظَـارِ   وَلا بِـأَوْرَادٍ وَلا أَذْكَـارِ

كَقَصْـدِ مُوسَـى جَذْوَةً مِـنْ نَارِ   إِذْ عَـادَ بِالإِنْبَـاءِ وَالإِرْسَـالِ

* * *

فَهْـوَ مُـرَادُ الحَـقِّ وَالمُرِيْـدُ   مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ وَجَـدُّهُ جَدِيْـدُ

وَقُـرْبُـهُ مِـنْ رَبِّـهِ يَـزِيْـدُ   وَقَـلْبُـهُ فـي قِبْلَـةِ الإِقْبَـالِ

* * *

يَـقْطَـعُ كُـلَّ عَـائِـقٍ شَـدِيْـدِ   بِالصَّـبْرِ وَالعَـزْمِ عَـلَى التَّجْرِيْدِ

فَجَـازَ كُـلَّ عَـقْـبَـةٍ كَـؤُودِ   وَجَـازَ كُـلَّ رَافِـعٍ وَعَالِـيْ

* * *

صَفَا وَصفَّـى القَلْبَ في عِلاجِهْ   بِـكُلِّ مَا يَشْـفِي مِـنِ اعْوِجَاجِهْ

حَتَّى اسْتَوَى بِالصِّدْقِ في احْتِيَاجِهْ   عَـلَى الغِنَـى بِالحَـقِّ ذِي الجَلالِ

* * *

وَأَوْرَدَ النَّفْسَ مِنَ الرِّيَاضَهْ مِنْ كُلِّ مَا تَكْرَهُهُ حِيَاضَهْ
فَأَصْبَحَتْ عَلَى الرِّضَا مُرْتَاضَهْ مَرْضِيَّةً فِي أَشْرَفِ[1] الخِصَالِ

* * *

مِنْ بِعْدِ عَقْدِ أَحْسَنِ اعْتِقَادِ وَعِلْمِ مَا يَحْتَاجُ وَازْدِيَادِ
وَعِلْمِ طِبِّ القَلْبِ وَاجْتِهَادِ يَطْوِي المَقَامَاتِ لِكُلِّ[2] حَالِ

* * *

فَهَذِهِ طَرِيقَةُ التَّقْدِيْسِ قَوِيْمَةُ التَّفْرِيْعِ وَالتَّأْسِيْسِ
بَرِيَّةٌ مِنْ سَائِرِ التَّلْبِيْسِ شَرَحَهَا إِمَامُنَا الغَزَالِيْ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ غَيْثِ مَنَاهِلِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ قُرْبِ مَنَازِلِهِمْ

وَبَعْضُهُمْ سَارُوا بِأَوْلَى سِرِّ[1]   فَاقْتَصَرُوا عِنْدَ قُصُورِ العُمْرِ
وَاخْتَصَرُوا طُوْلَ فُرُوْعِ الأَمْرِ   وَلاحَظُوا وُجْهَةَ وَجْهِ البَالِ

***

وَخَرَجُوا مِنْ جُمْلَةِ التَّدْبِيرِ   إِلَى انْتِظَارِ الفَيْضِ وَالتَّقْدِيرِ
وَأَسَّسُوا فِي الحَقِّ كَلَّ سَيْرِ   عَلَى الهُدَى بِأَصْدَقِ اتِّكَالِ

***

تَوَجَّهُوا حَقّاً لِوَجْهِ الرَّبِّ   وَقَصْدُهُمْ نَيْلُ الرِّضَا وَالقُرْبِ
وَهَمُّهُمْ فِي جَمْعِ هَمِّ القَلْبِ   فِي خِلْطَةٍ كَانُوا أَوِ اعْتِزَالِ

***

فَرَاقَبُواْ فِي القُرْبِ وَالمَعِيَّهْ   وَأَخْلَصُوا فِي الذِّكْرِ بِالجَمْعِيَّهْ
وَالتَزَمُواْ فِي السِّيْرَةِ الشَّرْعِيَّهْ   خُلاصَةَ الآدَابِ وَالأَعْمَالِ

***

وَهَذِهِ طَرِيْقَةُ التَّقْرِيْبِ   لِقُرْبِ غَوْثِ العَبْدِ مِنْ قَرِيْبِ

بِنَفْحَةٍ أَوْ صُحْبَةٍ أَوْ غَيْبِ لِلشَّاذِلِيْ وَمَنْ لَهُ يُوَالِيْ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ مَلامَتِيُّ السِّيْرَهْ أَخْفَى جَمِيْعَ الأَمْرِ فِي السَّرِيْرَهْ
مُسْتَتِراً فِي حَالَةٍ مُنِيْرَهْ مِنْ خَلْوَةٍ أَوْ خِدْمَةٍ أَوْ حَالِ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ قَدْ جَرَّدَ اجْتِهَادَهْ لِرَبِّهِ فِي الصَّوْمِ وَالعِبَادَهْ
مُلازِماً فِي عُمْرِهِ أَوْرَادَهْ مُوَزِّعاً للوَقْتِ فِي اسْتِعْجَالِ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ فِي العِلْمِ وَالتَّعْلِيْمِ وَالجَمْعِ فِي التَّأْلِيْفِ وَالتَّفْهِيْمِ
مُجْتَهِداً فِي دِيْنِهِ القَوِيْمِ يَحُلُّ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ إِشْكَالِ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ قَامَ مَقَاماً بَاهِرْ وَأَظْهَرَ الأَحْكَامَ فِي الظَّوَاهِرْ
بِالشَّرْعِ فِيْهَا آمِرٌ وَقَاهِرْ حَتَّى اسْتَوَى(١) مَنَاهِجَ الأَعْمَالِ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ فِي حِفْظِ أَمْرِ الدِّيْنِ عَنْ كَيْدِ ذِي جَحْدٍ وَعَنْ ذِي مَيْنِ
بِنُوْرِ بُرْهَانِ هُدَى مُبِيْنِ عَنِ المِرَا يُغْنِيْهِ وَالجِدَالِ

❋ ❋ ❋

وَبَعْضُهُمْ أُقِيْمَ فِي أَسْبَابِ فَصَانَهَا بِأَحْسَنِ الآدَابِ

وَانْتَظِرِ الإِفْضَالَ مِنْ وَهَّابِ   أقامَهُ فِي الكَسْبِ وَالعِيَالِ

***

فَأَفْضَلُ العَبْدِيَّةِ الإِقَامَهْ   بِمَا لَهُ مَوْلاهُ قَدْ أَقَامَهْ
عَلَى هُدًى بِأَحْسَنِ اسْتِقَامَهْ   بِكُلِّ مَا يُرْضِي مِنْ امْتِثَالِ

***

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بِالحَقِّ   أَعْطَى لِكُلِّ مَا لَهُ مِنْ خَلْقِ
ثُمَّ هَدَى ثُمَّ دَعَا بِالرِّفْقِ   كُلاًّ بِمَا يُصْلِحُهُ من حَالِ

***

فَبَعْضُهُمْ كَمالُهُ فِي صَبْرِهْ   وَبَعْضُهُمْ يَنالُهُ مِنْ شُكْرِهْ
وَبَعْضُهُمْ عَطَاؤُهُ فِي فَقْرِهْ   وَبَعْضُهُمْ صَلاحُهُ بِالمَالِ

*   *   *

رَشْفَةٌ مِنْ تَسْنِيمِ مَشَارِبِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ نَسِيمِ مَآرِبِهِمْ

وَاخْتَلَفُواْ فـي صِفَـةِ القُرْبِيَّـهْ   وَفي اتِّصَـالِ القُـوَّةِ الكَسْـبِيَّهْ
أَوِ انْعِطَـافِ نَفْحَـةٍ جَذْبِيَّـهْ   تَـرْفَـعُ عَنْـهُ كُـلْفَـةَ الأَثْقَـالِ

***

فَبَعْضُهُـمْ مَـا زَالَ فِي تَقْيِيْـدِ   فـي جِـدِّهِ وَزُهْـدِهِ الشَّـدِيْدِ
مُـرَاقِبـاً زَوَاجِـرَ الوَعِيْـدِ   مُرْتَقِبـاً لِلْمَـوْتِ وَالمَـآلِ

***

وَبَعْضُهُمِ فِي البَسْـطِ فِي الوُجُوْدِ   فِي بَسْـطَةٍ مِـنْ نِعْمَـةٍ وَجُـوْدِ
شَـاهَدَ فَضْلَ الـرَّبِ فِي الوُعُودِ   فَعَمَّـهُ مَـوْلاهُ بِالإِفْضَـالِ[1]

***

وَبَعْضُهُـمْ فِي كُلْفَـةِ التَّـكْلِيْـفِ   بَيْنَ تَرَجِّـي الفَضْلِ والتَّخْوِيْفِ
قَضَـى بِذَاكَ العَمْـرَ فِي شَرِيْفِ   مِـنْ صَبْـرِهِ فَفَـازَ بِالآمَـالِ

***

وَبَعْضُهُـمْ إِذْ جَـدَّ فِي اجْتِهَـادِهِ   أَعَـانَـهُ الحَـقُّ عَـلَـى مُـرَادِهْ

بِجَذْبَةٍ فَانْحَلَّ عَنْ قِيَادِهْ وَنَالَ أَسْنَى الفَتْحِ وَالآمَالِ

***

وَبَعْضُهُمْ فِي لاعِجِ الأَشْوَاقِ بِرَهْبَةٍ فِي غَايَةِ الإِشْفَاقِ
أَوْ رَغْبَةٍ فِي حَالَةِ الإِمْلاقِ أَوْ نِسْبَةٍ فِي مُخْلَصِ الأَعْمَالِ

***

وَبَعْضُهُمْ غَرِيْقُ بَحْرِ الجُوْدِ شَهِيْدُ سَيْفِ الكَشْفِ وَالشُّهُوْدِ
قَدْ صَارَ تَحْتَ العِزِّ كَالمَفْقُوْدِ وَلَيْسَ عَنْهُ مُخْبِرٌ بِقَالِ(١)

***

وَبَعْضُهُمْ غَابَ عَنِ الخَلِيْقَهْ وَذَابَ لَمَّا شَاهَدَ الحَقِيْقَهْ
إِذْ عَلَّ مِنْ رَاحِ الهَوَى رَحِيْقَهْ رَاحَ بِهَا فِي طَلْعَةِ الجَمَالِ

***

وَكُلُّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا لِلْعِصْمَهْ بَلْ حُفِظُواْ بِحفْظِهِمْ لِلْحُرْمَهْ
وَأُكْرِمُوا بِنِسْبَةٍ وَخِدْمَهْ فَهُمْ رِجَالُ الحَقِّ فِي الرِّجَالِ

***

لَيْسَ لَهُمْ وَحْيٌ وَلا أَحْكَامُ إِلاَّ عُلُوْمُ الدِّيْنِ وَالإِسْلامُ
نَعَمْ لَهُمْ مِنْ لُطْفِهِ إِلْهَامُ يَحِلُّ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ أَحْوَالِ

***

وَرُبَّمَا طَافَتْ بِهِمْ لَطَائِفْ مِنْ عِلْمِ كَشْفِ الحَقِّ وَالمَعَارِفْ

وَذَوْقِ مَعْنَى قَائِلٍ وَوَاصِفْ   فِي الفَهْمِ فِي القُرْآنِ وَالإِنْزَالِ[1]

* * *

وَرُبَّمَـا بِنَظْـرَةٍ قُـدْسِيَّـهْ   أَوْ مِنْ سَنَـا فِرَاسَـةٍ حِسِّيَّـه

رَأَوا خَـفَـايَـا حَـالَـةٍ نَفْسِيَّهْ   تَصِيْرُ فِي القَلْبِ بِلا اسْتِعْمَالِ

* * *

وَقَـدْ بَدَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ خَوَارِقْ   عَوْنـاً لِـكُلِّ مُسْتَجِيْبٍ صَادِقْ

وَحُجَّـةً[2] عَـلَى مُعَـادٍ مَـارِقْ   تَكُـوْنُ عِنْـدَ الهَـمِّ بِانْفِعَـالِ

* * *

بَـلْ كُلُّ مَـا يَجُـوْزُ مِـنْ نَبِـيِّ   مُعْجِـزَةً يَجُـوْزُ مِـنْ وَلِـيِّ[3]

كَـرَامَـةً بِـوِفْـقِـهِ المَـرْعِـيِّ   وَحُجَّـةً لِلرُّسْـلِ وَالإِرْسَـالِ

* * *

وَجُـلُّهُـمْ يَـكْـرَهُ فِعْـلَ الخَـرْقِ   لأَنَّ فيْـهِ هَتْـكَ سِـتْرِ الحَـقِّ

لأَنَّ بِالأَسْـبَابِ جَـرْيَ الخَلْـقِ   وَحِكْمَـةُ العَـادَاتِ نَظْـمُ الحَالِ

* * *

كَـذَاكَ مَـا لا تُفْهِـمُ الإِشَـارَهْ   وَلَـم تَسَـعْهُ رِبْقَـةُ العِبَـارَهْ

فَإِنَّـهُ جَـلَّ خَـفَـى أَسْـرَارَهْ   بِشَـرْعِهِ صَوْنـاً عَـنْ انبِـذَالِ

* * *

وَمَنْ بِهَا بَاحَ اسْتَبَاحَ ذَمَّهْ　　وَرُبَّمَا الشَّـرْعُ أَبَاحَ دَمَّهْ
وَحَسْبُهُ اللهُ لَهَـا وَعِلْمَهْ　　وَحُسْـنُ ظَـنٍّ خَـيْرُ مَا نَـوَالِيْ

* * *

وَكُلَّمَـا تُنْقَـلُ مِنْ مَقَالَـهْ　　فِي الشَّرْعِ عَمَّن تَرْتَضِـي خِصَالَهْ
رُدَّتْ بِحُسْـنِ الظَّـنِّ وَالإِقَالَـهْ　　وَصِينَ وَجْهُ الحَقِّ[1] عَنْ إِشْكَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ صَافِي تَصَوُّفِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ عَرْفِ تَعَرُّفِهِمْ

وَسَابِقُ التَّخْصِيْصِ وَالعِنَايَةْ　　خَصَّتْ ذَوِي الإِخْلاصِ بِالرِّعَايَةْ
وَأَوْجَبَتْ عَقْدَ لِوَا الوِلايَةْ　　لِمَنْ حَظِيْ بِأَشْرَفِ الخِصَالِ

❊ ❊ ❊

فَكُلُّ مِنْ هَبَّ إلى الشَّرِيْعَةْ　　وَاتَّخَذَ الصِّدْقَ بِهَا ذَرِيْعَةْ
لِنَيْلِ أَيِّ رُتْبَةٍ رَفِيْعَةْ　　نَالَ بِهَا كُلَّ مَقَامٍ عَالِيْ

❊ ❊ ❊

فَمَنْ وَفَى عَهْداً وَجِداً أُوْفِيْ　　وَمَنْ صَفَى قَلْباً وَحُبّاً صُوْفِي
وَصَارَ لِلحَقِّ صَفِيّاً صُوْفِي　　وَفَقْرُهُ يُغْنِيْهِ عَنْ سُؤَالِ

❊ ❊ ❊

فَإِنَّمَا طَرِيقَةُ الصُّوْفِيَّةْ　　لُزُوْمُ كُلِّ هِمَّةٍ وَفِيَّةْ
وَصِفَةٌ مِنَ الهُدَى صَفِيَّةْ　　إِلَى بُلُوْغِ القَصْدِ وَالكَمَالِ

❊ ❊ ❊

فَكُلُّهَا بِسُنَّةٍ سَنِيَّةْ　　عَلَى اتِّبَاعِ المُصْطَفَى مَبْنِيَّةْ
وَالأَخْذُ فِي كُلِّ اهْتِدَا وَنِيَّةْ　　بِالعَزْمِ وَالإِخْلاصِ فِي الأَعْمَالِ

❊ ❊ ❊

فَهِيَ كَمَالُ الصِّدْقِ بِالتَّصْدِيْقِ وَالجِدُّ بِالحَقِّ عَلَى التَّحْقِيْقِ
فِي الجَمْعِ وَالفَرْقِ بِلا تَفْرِيْقِ لِلْهَمِّ بَلْ جَمْعِ الهَوَى وَالبَالِ

* * *

وَبِاخْتِلافِ الذَّوْقِ وَالمَوَاهِبْ بِحَسَبِ الأَحْوَالِ وَالمَرَاتِبْ
تَحْسَبُهَا بَيْنَ الوَرَى مَذَاهِبْ مَعَ اتِّحَادِ القَصْدِ وَالمَآلِ

* * *

فَإِنَّهَا تَحْقِيْقُ حَقِّ العِلْمِ وَالجِدُّ فِي الحَقِّ بِأَوْلِي عَزْمِ
وَلا خِلافَ لِاخْتِلافِ الرَّسْمِ فِيْ وَصْفِ حَالٍ وَاخْتِلافِ قَالِ

* * *

وَكُلُّهُمْ فَرُّوا مِنَ التَّقْيِيدِ وَمِنْ بَقَا فِي رِبْقَةِ التَّقْلِيْدِ
فَطَلَبُوا التَّحْقِيْقَ بِالمَزِيْدِ مِنَ الهُدَى فِي صَالِحِ الإِقْبَالِ

* * *

وَمَا ارْتَضَوْا فِي عِدَّةِ الإِسْلامِ أَحْوَالَ أَهْلِ البَحْثِ وَالكَلامِ
بَلْ قَلَّدُواْ الحَقَّ بِلا إِيْهَامِ فِي كُلِّ مَا صَحَّ مِنَ الإِنْزَالِ

* * *

فَرُّوْا مِنَ التَّعْطِيْلِ وَالتَّشْبِيْهِ وَقَرَّرُوْا الإِثْبَاتَ بِالتَّنْزِيْهِ
وَذُوْ اشْتِبَاهٍ لَمْ يَخُوْضُوْا فِيْهِ بَلْ فَوَّضُوْا فِيْهِ لِذِيْ الجَلالِ

* * *

فَطَابَقُوْا لِلْحَقِّ فِي اعْتِقَادِهِ وَصَدَّقُوْا النُّقُولَ بِاعْتِمَادِهِ
وَفَوَّضُوا المَعْنَى إِلَى مُرَادِهِ فِي وَاضِحِ الحَالِ وَفِي الإِشْكَالِ

رَشْفَةٌ مِنْ مَنْهَلِ أُصُولِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ مَنْدَلِ وُصُولِهِمْ

وَأَجْمَعُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ وُصُوْلِ ... إِلاَّ بِحِفْظِ الشَّرْعِ وَالأُصُوْلِ
وَكَنْسِ سِرِّ السِّرِ عَنْ فُضُوْلِ ... لِيَسْتَعِدَّ القَلْبُ لِلإِفْضَالِ

❋ ❋ ❋

وَالشَّرْطُ تَطْهِيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ ... عَنْ كُلِّ طَبْعٍ نَاقِصٍ وَرِجْسِ
لِيَنْجَلِيْ فِي كُلِّ وَصْفٍ قُدْسِيْ ... وَيَعْتَلِيْ فِي طَلْعَةِ الكَمَالِ

❋ ❋ ❋

وَإِنَّهُ لا بَابَ لِلسَّعَادَهْ ... إِلَّا اتِّبَاعُ العِلْمِ وَالعِبَادَهْ
مَعَ العُبُوْدِيَّةِ وَالزَّهَادَهْ ... وَالجِدِّ فِي الأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ

❋ ❋ ❋

كَأَنْ يُدِيْمَ الذِّكْرَ بِالحُضُوْرِ ... بِغَفْلَةٍ عَمَّا سِوَى المَذْكُوْرِ
بِحَيْثُ يُغْنِي العَبْدَ[1] عَنْ شُعُوْرِ ... بِنَفْسِهِ أَو ذِكْرِهِ أَوْ حَالِ

❋ ❋ ❋

وَقَلَّ نَيْلُ هَذِهِ المَعَانِيْ ... إِلاَّ إِذَا مُدَّتْ قُوَى المُعَانِيْ

بِنُورِ سِرٍّ جَاذِبٍ رَبَّانِيْ يَرْقَى بِهِ العَبْدُ لِكُلِّ عَالِيْ

***

وَنَيْلِهِ مِنْ صُحْبَةِ الأَخْيَارِ أَوْ فِي لُزُوْمِ الذِّكْرِ بِاسْتِهْتَارِ
أَوْ بِارْتِقَابِ الحَقِّ بِالأَسْرَارِ فِيْ سَائِرِ الحَالاتِ وَالأَفْعَالِ

***

فَاطْلُبْ لِقَا الشَّيْخِ بِكُلِّ حِيلَةْ فَهْوَ المُرَادُ بِابْتِغَا الوَسِيْلَةْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخٌ هُدًى دَلِيْلَهْ فَشَيْخُهُ الشَّيْطَانُ فِي الخَيَالِ

***

وَهْوَ إِمَامٌ كَامِلُ الطَّرِيْقَةْ يَعْلَمُ سِرَّ الشَّرْعِ وَالحَقِيْقَةْ
يَعْرِفُ طَبْعَ النَّاسِ وَالخَلِيْقَةْ وَمَا لِكُلِّ طَالِبٍ مِنْ بَالِ

***

عَنْ إِذْنِ شَيْخٍ كَامِلٍ مَأْمُوْرْ لَمْ يُلْهِهِ عَنْ شُغْلِهِ الحُضُوْرْ
وَعَكْسُهُ ذُو هَيْبَةٍ وَقُوْرْ يَظْهَرُ عنهُ أَشْرَفُ الخِلالِ(١)

***

قَدْ ذَاقَ جِدَّ السَّيْرِ فِي الطَّرِيْقِ حَتَّى أَتَتْهُ جَذْبَةُ التَّوْفِيْقِ
تُبِينُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّعْوِيْقِ لَهُ مَبَانِيْ القَطْعِ وَالإِيْصَالِ

***

إِلَى طَرِيْقِ الفَيْضِ وَالمَزِيْدِ يُرْشِدُ كُلَّ صَادِقٍ مُرِيْدِ

بِضَبْطِهِ الأَنْفَاسَ وَالتَّقْيِيْدِ لَهُ بِأَوْلَى السَّيْرِ وَالتَّرْحَالِ

***

يَحْمِيْهِ عَنْ إِثْمٍ وَعَنْ مُلِمَّةْ وَمَنْقَصٍ وَرُبَّمَا بِالهِمَّةْ
يُلْبِسُهُ ثَوْبَ تُقًى وَعِصْمَةْ فَيَرْتَدِي بِأَشْرَفِ الخِصَالِ

***

وَيُظْهِرُ المُرِيْدُ كُلَّ خَاطِرْ مُسَلِّماً لِحُكْمِهِ مُبَادِرْ
لأَمْرِهِ مُعَظِّماً وَنَاظِرْ إِلَيْهِ بِالفَضْلِ وَبِالإِجْلالِ

***

يَشْهَدُ أَنَّ الحَقَّ مَا يَقْضِيْهِ بِحَيْثُ يَرْضَى اللهُ مَا يُرْضِيْهِ
بِكُلِّ حَالٍ فَهْوَ مَعْهُ فِيْهِ كَحَالَةِ المَيْتِ مَعَ الْغَسَّالِ

***

فَمَنْ إِلى الشَّيْخِ هَدَاهُ رَبُّهْ فَقَدْ بَدَا كَمَالُهُ وَقُرْبُهْ
إِنِ احْتَوَى عَلَى وَلاهُ قَرْبُهْ ثُمَّ اقْتَدَى بِسَيْرِهِ مُوَالِيْ

***

إِنْ هَبَّ بِالصِّدْقِ إِلى المَعْلُوْمِ مِنْ نَوْمَةِ العَادَاتِ وَالرُّسُوْمِ
ثُمَّ اقْتَدَى رَسْمَ طَرِيْقِ القَوْمِ فَقَدْ دَنَا مِنْ وَصْلَةِ الوِصَالِ

* * *

رَشْفَةٌ مِنْ بَحْرِ مَقَامَاتِهِم الْعَلِيَّة
وَنَسْمَةٌ مِنْ عِطْرِ أَحْوَالِهِمْ الجَلِيَّة

إِذَا دَعَــاهُ وَارِدُ الإِرَادَةْ   وَسَــلَّمَ الأمْـرَ لِمَـا أَرَادَهْ
فَصَارَ فِي الإِخْلاصِ وَالعِبَادَةْ   وَجَانَبَ الأَحْدَاثَ بِاعْتِزَالِ

❋ ❋ ❋

فَشَاهَدَ الأَلْطَافَ مِنْ لَطِيْفِ   بِـكُلِّ سِـرٍّ بَاهِـرٍ مُنِيْـفِ
وَذَاقَ مَعْنَى قُرْبِهِ الشَّـرِيْفِ   فِي كُلِّ نُوْرٍ مِنْ سَنَى الجَمَالِ

❋ ❋ ❋

ثُمَّ اهْتَدَى بِالتَّوْبَةِ القُدْسِـيَّةْ   لِقَمْـعِ كُلِّ شَـهْوَةٍ نَفْسِـيَّةْ
وَقَطْـعِ كُلِّ عَـادَةٍ حِسْـيَّةْ   وَحِفْظِ حُكْـمِ وَقْتِهِ وَالحَالِ

❋ ❋ ❋

فَذَاقَ رُوحَ الحُبِّ مِنْ حَبِيْبِ   وَشَـمَّ مَعْنَى القُرْبِ مِنْ قَرِيْبِ
وَصَـارَ أَوْلَى مُجْتَـبٍ مُجِيْـبِ   فِيْـهِ اسِـتَلَذَّ سَـائِرَ الأَهْوَالِ

❋ ❋ ❋

ثُمَّ اسْتَوَى فِي الوَرَعِ المَحْكُوْمِ   عَنْ كُلِّ مَعْنَى شـبَهَةٍ أو لَوْمِ
بِحِفْظِ حَقِّ الوَقْتِ وَالعُلُوْمِ   وَصَوْنِهِ القَلْبَ عَنِ اخْتِلالِ

❋ ❋ ❋

فَهَاجَهُ شَوْقٌ سَرَى بِلُبِّهْ إِلَى لَطِيـفِ لُطفِـهِ وَحُبِّهْ
فَارْتَـاحَ مَعْنَـى سِرِّهِ فِي قُرْبِهْ وَذَاقَ مِنْـهُ نَسْـمَةَ الوِصَـالِ

* * *

ثُمَّ ارْتَقَـى فِي الزُّهْدِ فِي مَعَانِيْ بِهَـا رَمَـى كُلَّ دَنِـيٍّ فَانِـيْ
ثُمَّ اسْـتَوَى جَوَاهِـرُ الأَثْمَانِ لَدَيْـهِ وَالـتِّرْبُ بِـلا احْتِفَالِ

* * *

فَصَارَ عَطْشَـاناً عَظِيْمَ الشَّوْقِ لِنَفْحَةِ الوَصْلِ قَوِيمَ الذَّوْقِ
تُزْعِجُـهُ لَوَاعِـجُ الـبُرُوْقِ لِقَصْدِ كَشْـفِ بُرْقُـعِ الجَمَالِ

* * *

ثُـمَّ اعْتَـلَى فِي فَقْـرِهِ المَصُوْنِ عَلَى الغِنَا عَنْ كُلِّ مَعْنَىً كَوْنِيْ
فَلَمْ يُبَلْ بِالوَصْلِ أَوْ بِالبَوْنِ بَلْ صَارَ فِي الحُبِّ بِكُلِّ حَالِ

* * *

فَغَـابَ فِي مَوْلاهُ عَـنْ مُرَادِهْ وَالفَرْقُ اسْـتَوْلَى عَـلَى فُؤَادِهْ
فَنَسِـــيَ المَعْلُوْمَ مِـنْ أَوْرَادِهْ وَصَارَ كُلُّ الرَّسْمِ فِي اضْمِحْلالِ

* * *

ثُـمَّ فَنِي بِالصَّبْرِ عَـنْ دَعْوَاهُ وَفَرَّ فِي المَحْبُوْبِ عَنْ شَكْوَاهُ
وَقَـرَّ تَحْتَ القَهْـرِ فِي بَلْـوَاهُ حَتَى اسْتَلَذَّ الهَجْرَ كَالإِقْبَالِ

* * *

فَفَاحَ عِطْرُ الحَقِّ مِنْ أَعْطَافِهْ وَفَاضَ سَيْلُ الرِّفْقِ مِنْ أَلْطَافِهْ

وَشُكْرُهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَوْصَافِهْ فَبَاحَ بِالغَيْبِ وَبِالنَّوَالِ

❊ ❊ ❊

ثُمَّ التَجَا لِحِلْمِهِ وَعِلْمِهْ تَوَكُّلاً لَـمَّا قَضَى فِي حُكْمِهْ
وَرَاضِياً فِيمَا ارْتَضَى مِنْ حَتْمِهْ مُرْتَقِباً لِلْفَيْضِ بِالإِفْضَالِ

❊ ❊ ❊

فَذَاقَ طِيْبَ الصَّحْوِ بِاسْتِرْوَاحِ رَوْحِ الهَنَا وَالوَصْلِ وَالكِفَاحِ
وَقَـرَّ بِالتَّمْكِيْنِ فِي الفَـلاحِ فَلَـمْ يَـزِغْ فِي طَلْعَـةِ الجَلالِ

❊ ❊ ❊

ثُمَّ اطْمَأَنَّ فِي الرِّضَا فِي السِّـرِ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ طَيِّـبٍ أو مُـرِّ
وَلِلبِلا اسْتَحْلَى وَمَسِّ الضُّـرِّ وَحَالُهُ الشُّكْرُ بِـلا احْتِيَالِ

❊ ❊ ❊

فَهَـامَ قَلْبـاً فِي مَعَـانِيْ الحُبِّ وَطَابَ لُبّاً فِي رِيَاضِ القُرْبِ
وَغَابَ عَنْ كُلِّ عَطَاً أَوْ سَلْبِ شُـغْلاً بِـمَا عَايَنَـهُ بِالبَـالِ

❊ ❊ ❊

فَانْطَمَسَتْ تَحْتَ شِعَاعِ القُدْسِ أَحْوَالُهُ فِي غَيْبِ طِيبِ الأنسِ
فَغَابَ عَنْ كُلِّ وُجُودٍ حِسِّـيْ وَصَارَ فِي وَصْلٍ عَلَى اتِّصَالِ

❊ ❊ ❊

ثُمَّ سَقِيْ فِي الحُبِّ مَعْنَى النَّفْعِ وَعَادَ فِي شَـأْنِ البَقَا وَالجَمْعِ

فِيْ خِلْعَةِ التَّمْكِيْنِ[1] بَعْدَ الخَلْعِ   مِـنْ قَبْلِهَـا لِسَـائِرِ الأَحْوَالِ

* * *

وَغَـابَ فِي أَسْرَارِهَـا المُنِيْرَهْ   غَيْبَـةَ أَخْـذِ جَهْـرَةً بِغَـيْرَهْ
ذَاقَ بِهَـا مَعْرِفَـةً فِي حَـيْرَهْ   يَذُوْقُ فِيْهَا كُلَّ شُرْبِ[2] حَالِيْ

* * *

فَهَامَ فِي سُـكْرِ مَعَـانِي الذِّكْرِ   وَعَامَ فِي بَحْرِ حَلاوَى الفِكْرِ
وَحَارَ قَلْبَاً عِنْدَ كَشْفِ السِّتْرِ   أَوْ صَارَ غَيْباً فِي سَنَى الجَمَالِ

* * *

ثُمَّ اجْتَنَـى مَعَارِفَ التَّوْحِيْدِ   مِنْ ثَمَـرَاتِ الجِدِّ وَالتَّجْرِيْدِ
فَأَفْـرَدَ الحَـقَّ بِـلا تَقْيِيْـدِ   وَحَقَّـقَ الحَـقَّ بِـلا أَمْثَـالِ

* * *

فَشَـاهَدَ الأَغْيَـارَ كَالمَعْـدُوْمِ   وَلَيْـسَ إِلاَّ عِـزَّةَ القَيُّـوْمِ
وَلَمْ يَـزَلْ بِالحَـقِّ فِي عُلُـومِ   فِي كُلِّ تَفْصِيـلٍ بِلا انْفِصَالِ

* * *

فَتَـارَةً يَـبْهَـرُهُ جَـلالُـهْ   وَرُبَّمَـا تَـقْـهَـرُهُ أَفْعَالُـهْ
وَتَـارَةً يُبْهِجُـهُ جَمَـالُـهْ   فِي كُلِّ مَا يَأْتِيْـهِ مِـنْ نَـوالِ

* * *

رَشْفَةٌ فِي مِسْكِ خِتَامِهِمْ
وَنَسْمَةٌ مِنْ طِيبِ إِكْرَامِهِمْ

خَاتِمَةٌ ذُو الهِمَّةِ الدِّينِيَّة   لا يَرْتَضِي بِحَالَةٍ دَنِيَّةْ
بَلْ يطلبُ المَكَارِمَ السَّنِيَّةْ   يَسْهَرُ فِي تَحْصِيلِهَا اللَّيَالِيْ

❋ ❋ ❋

وَيَقْطَعُ التَّسْوِيفَ وَالتَّوَانِيْ   فِي قَصْدِهِ القُرْبَ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَيَرْتَقِي بِالبِرِّ وَالإِحْسَانِ   إِلَى اعْتِلَا كُلِّ مَقَامٍ عَالِيْ

❋ ❋ ❋

وَلا يَزَالُ مخبِتاً لِرَبِّهْ   مُسْتَغْفِراً مِنْ رَيْبِهِ وَذَنْبِهْ
مُعَوِّلاً عَلَى حَيَاةِ قَلْبِهْ   بِذِكْرِهِ مَوْلاهُ بِابْتِهَالِ

❋ ❋ ❋

مُجْتَهِداً بِالصِّدْقِ فِي إِقْبَالِهْ   وَقَصْدِ وَجْهِ الحَقِّ فِي أَعْمَالِهْ
وَحِفْظِ عَيْنِ قَلْبِهِ وَبَالِهْ   مِنْ ظُلْمَةِ الأَوْهَامِ وَالخَيَالِ

❋ ❋ ❋

يَغْرِسُ بِالتَّوْحِيْدِ مَعْنَى الدِّيْنِ   فِيْ قَلْبِهِ بِغَايَةِ التَّمْكِيْنِ
لِيَمْتَلِي بِالنُّوْرِ وَاليَقِيْنِ   وَيَكْتَسِي مِنْ أَحْسَنِ الأَحْوَالِ

❋ ❋ ❋

وَلْيَخْشَ مِنْ فَرْطِ الهَوَى وَالشَّهْوَهْ وَمِنْ تَمَادِي غَفْلَةٍ وَقَسْوَهْ
ذَهَابَ مَعْنَى الدِّيْنِ وَالفُتُوَّهْ مِنْ حُبِّهِ المَالَ بِمَوْتِ البَالِ

***

فَلْيَفْتَقِدْ أَحْوَالَهُ فِي نَفْسِهْ وَالفَرْقَ بَيْنَ يَوْمِهِ وَأَمْسِهْ
وَلْيَغْتَنِمْ قَبْلَ حُلُوْلِ رَمْسِهْ بُلُوْغَ مَا يُنْجِيْهِ فِي المَآلِ

***

فَإِنَّ حَالَ الْقَلْبِ وَالضَّمِيرِ يُعْرَفُ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالتَّذْكِيْرِ
فَهْوَ إِذَا لَمْ يَخْشَ مِنْ تَحْذِيْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِالذِّكْرِ ذَو اعْتِلَالِ

***

لأَنَّ وَصْفَ صَاحِبِ الإِيْمَانِ خُشُوْعُهُ بِالذِّكْرِ وَالقُرْآنِ
وَنَفْعُهُ بِالْوَعْظِ وَالْبَيَانِ وَخَوْفُهُ مِنْ بَطْشِ ذِي الجَلَالِ

***

وَحَقٌّ ذِي الإِخْلَاصِ وَالسَّعَادَهْ فِي سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالعِبَادَهْ
أَنْ يَجِدِ الإِيْمَانَ فِي زِيَادَهْ فِي كُلِّ مَا زَادَ مِنْ الأَعْمَالِ

***

وَأَنْ يَكُوْنَ طَيِّبَ الجَنَانِ مُجْتَنِباً لِلإِثْمِ وَالعِصْيَانِ
وَطَاهِرَ الأَوْصَافِ وَاللِّسَانِ مُجَانِباً لِلْفُحْشِ فِي الأَقْوَالِ

***

فَكُلُّ عَبْدٍ لَمْ يَصُنْهُ دِيْنُهْ وَلَمْ يَزِدْ بِطَاعَةٍ يَقِيْنُهْ

وَقَلْبُهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ رَيْنُهْ مِنْ قِلَّةِ الدِّيْنِ بِلا إِشْكَالِ

* * *

فَلْيَجْتَهِدْ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ هُجُوْمِ المَوْتِ وَالفَوَاتِ
وَلْيَغْتَنِمْ فَوَائِدَ الطَّاعَاتِ وَلْيَسْتَقِمْ فِي قِبْلَةِ الإِقْبَالِ

* * *

وَلْيَكُنِ الحَقُّ افْتِتَاحَ فِكْرِهْ وَخَتْمَهُ فِيمَا بَدَا مِنْ ذِكْرِهْ
أَوْ مَا خَفِي فِي جَهْرِهِ وَسِرِّهْ فِيْ سَائِرِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ

* * *

مَعْتَمِداً فِي هَمِّهِ عَلَيْهِ وَطَالِباً لِلْخَيْرِ مِنْ يَدَيْهِ
وَنَاظِراً مُرَاقِباً إِلَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ فِي الإِجْلَالِ

* * *

مُسَافِراً بِفِكْرِهِ فِي كَوْنِهْ يَرَى ظُهُوْرَ الحَقِّ فِي بُطُوْنِهْ
وَحِكْمَةَ الإِبْدَاعِ فِي فُنُوْنِهْ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ سَنَى الجَمَالِ

* * *

يَرَى لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةْ تَهْدِيْ إِلى التَّوْحِيْدِ وَالهِدَايَةْ
تَبْدُو لِأَهْلِ الفَهْمِ قَبْلَ الغَايَةْ وَبَعْدَهَا فِي سَابِقٍ وَتَالِيْ

* * *

فَلْيَلْتَجِيْ العَبْدُ إِلى غَفَّارِ يَطْلُبُهُ بِأَبْلَغِ افْتِقَارِ
مَلازِماً بِأَعْظَمِ انْكِسَارِ مُعْتَرِفاً بِالعَجْزِ وَالإِقْلَالِ

* * *

فَإِنَّـهُ إِنْ دَامَ فِي الأَذْكَـارِ وَلازَمَ الإِمْعَـانَ بِالأَفْكَـارِ
فَسَـوْفَ يَأْتِيْ الفَتْحُ بِالأَنْوَارِ وَالمَنْحِ بِالأَسْـرَارِ وَالمنَالِ

❋ ❋ ❋

فَلَـمْ تَزَلْ مِنْ نَفَحَاتِ الجُوْدِ وَوَابِلِ الأَلْطَافِ فِي الوُجُوْدِ
هَوَاطِلٌ جَلَّـتْ عَنِ الحدُوْدِ تُبَلِّـغُ الآمَـالَ ذَا الآمَـالِ

❋ ❋ ❋

وَالحَمْـدُ للـه عَلَـى إِكْمَالِ لِرَشَفَاتِ المَشْـرَبِ الإِفْضَالِ
وَنَسَمَاتِ القُرْبِ وَالإِيْصَالِ ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَبَدِيْ
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَمَنْ هُدِيْ حَمْداً يُـوَافِي الْفَضْلَ بِالْكَمَالِ

❋ ❋ ❋

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَبَدِي عَـلَى النَّبِـيِّ الهَاشِـمِيْ مُحَمَّدِ
بِهَدْيِـهِ إِلى مَقَـامٍ عَـالِيْ حَمْداً يُـوَافِي الفَضْلَ بِالكَمَالِ
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَمَـنْ هُدِي بِهَدْيِـهِ إِلـى مَقَـامٍ عَـالِ

تمت بحمد الله وعونه

❋ ❋ ❋